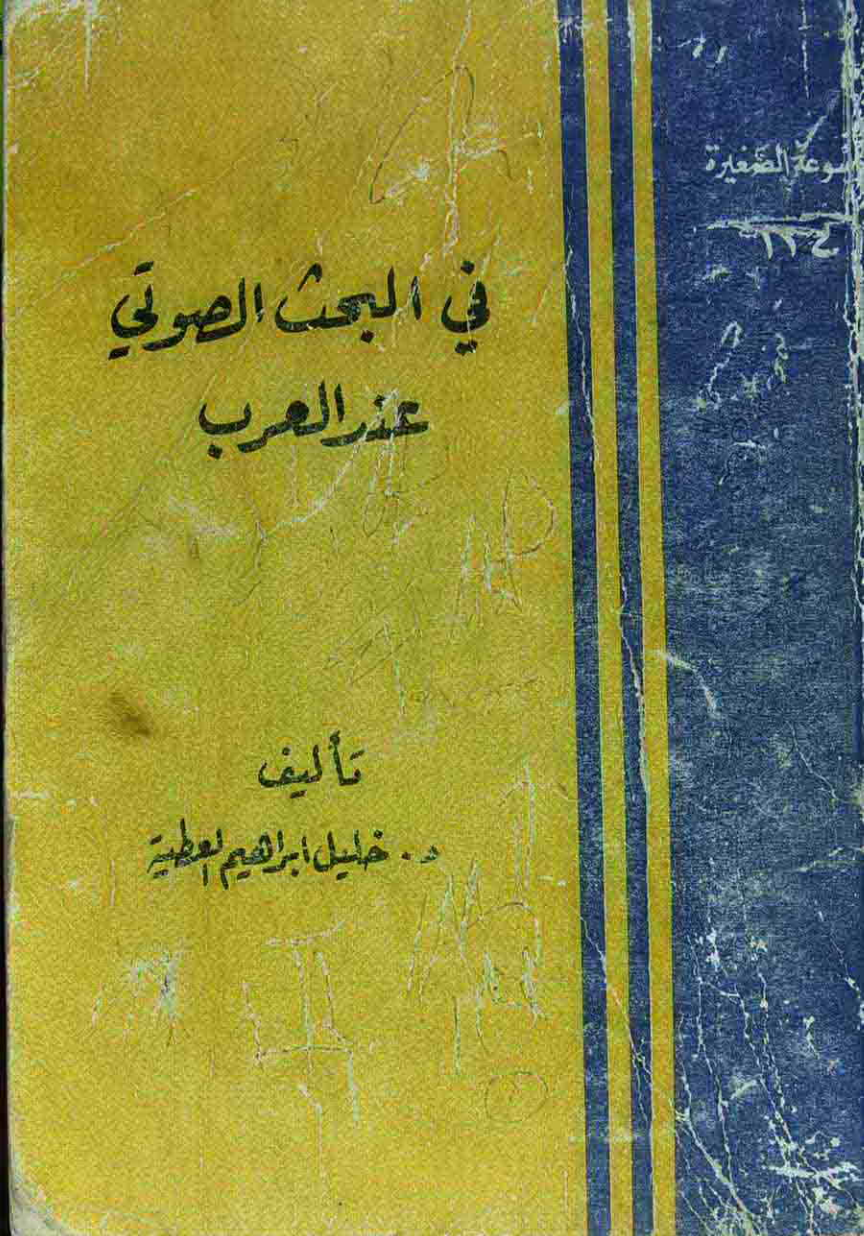


سوعة الصغيرة
١٢٤
في البحث الصوتي
عند العرب
تأليف
د. خليل ابراهيم العطية

المؤلف في سطور

- من مواليد ١٩٣٦
- نال الماجستير ١٩٦٩ والدكتوراه ١٩٧٣ من جامعة عين شمس.
- استاذ اللغويات المساعد
- رئيس قسم اللغة بكلية الآداب / جامعة البصرة.
- حقق مجموعة من دواوين الشعر والنصوص اللغوية منها :

  ديوان المزرد وديوان ليلى الاخيلية وديوان توبة ابن لحمير وديوان مسكين الدارمي وديوان لقيط بن الايادي وديوان عمرو بن قميئة، وشعر نهار بن توسعة، وتعجم التقفية في اللغة للبندنيجي وفعلت وافعلت لأبي حاتم.
- له تحت الطبع : بقية التنبيهات على أغاليط الرواة لعلي بن حمزة البصري، ودراسات في اللهجات العربية.
- له بحوث ومقالات في الصوتيات واللهجات والمعجم العربي.

الموسوعة الصغيرة
(١٢٤)

في البحث الصوتي عند العرب

تأليف

الدكتور خليل ابراهيم العطية

منشورات دار الجاحظ للنشر ـ بغداد

الجمهورية العراقية ١٩٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

المدخل

هذه مقدمة في البحث الصوتي عند العرب ، اردت منها ان تكون مدخلا لبحث أوسع وأشمل يكتنه كل ما قدمه العلماء العرب في مختلف العصـــور للبحث الصوتي .

لقد وجدت في اثناء القائي دروس « علم الاصوات اللغوية » على طلبة قسم العربية منذ اوائل ١٩٧٤ حتى الان وفي أثناء تدريسي اللغويات الاخرى كالنحو والصرف وفقه اللغة واللهجات العربية والمعجم العربي أقـــول : لقد وجدت ان العلماء العرب قدموا الكثير من المباحث الصوتية التي تضارع المباحث الحديثة فيها مع اختلاف العصور وتباين الوسائل .

فقد ادرك النحاة العرب قصور فهمهم نحو العربية وصرفها مالم يدرسوا اصواتها، فكانت عنايتهم بهاشديدة اقتضتهم اكتناه مخارجها وجهازها المصوت وصفاتها العامة والخاصة وقوانينها ، فآبوا بزاد وفير ، ماثل في عشرات المصطلحات الصوتية التي ترمى الى جليل ما قدموا ، وعزيز ما خلفوا .

اما اهل العـــروض فقد اغنوا البحث الصـــوتي بدراسة اوزان الشعر العربي وموسيقاه ، وبيان مواضع النبر stress فيه ومقاطعه .

ولعلماء الكلام والاصوليين والمعتزلة عناية فائقة بالكلام المنطوق ، وببان مكوناته ، وما النطق الا اصوات مسموعة يظهرها اللسان وتشارك بها اعضاء النطـــق الاخرى ، فكانت عنايتهم ب (الحروف) بأعتبارهـــا (حروفا) لفظية دالة على (حروف) فكرية منبعها العقل موضع اثراء للبحث الصوتي .

ولاصحاب البلاغة ملاحظات نافعة في تنافر الاصوات وائتلافها وعناية بالتنغيم intouation لشديد اهتمامهم بأساليب الخطاب وحسن البيان .

ولاهل القراءات والتجويد حظ وافر في دراسة الاصوات العربية واصنافها واحكامها من حيث الادغام والاظهار والاخفاء والوقف والابتداء والمد اللفظي والمد

المنفصل والمد الساكن العارض ، واحكام الهمز والتسهيل والروم والاشمام وترقيق الاصوات وتغليظها .

واذا كان علم الاصوات في بدايته جزءا من اجزاء النحو فأنه سرعان ما انزوى عند أهل القراءات والتجويد ، وزاد فيه هؤلاء الكثير من المباحث مستوحاة من التنزيل العزيز ، ولو ظل هذا العلم موضع عناية النحويين والصرفيين زمنا أطول لا غتنى الدرس النحوي والصرفي بالكثير مما يفتقده فيهما أهل النظر في علم الصوت الحديث .

لقد سبقني الى دراسة البحث الصوتي علماء فضلاء ، أفدت منهم علما غزيرا ، لم أشأ ان انكر فضلهم في هذه « الموسوعة » الميسرة النافعة .

وفقنا الله لخدمة هذه الامة الكريمة والله الموفق .

البصرة ١٩٨٢/١٠/١ **خليل ابراهيم العطية**

الصوت اللغوي

عرف Robin الصوت Sound انه :
« اضطراب مادي في الهواء يتمثل في قـــوة او ضعف سريعين للضغط المتحرك من المصدر في اتجاه الخارج ، ثم في ضعف تدريجي ينتهي الى نقطة الزوال النهائي »(*)

ويقتضي هذا التعريف عناصـر ثلاثــة تستدعيها (عملية) الصوت ، هــي :

١ ـ جسم يتذبذب .

٢ ـ وسط تنتقل فيه الذبذبة الحاصلة عـــن الجسم المتذبذب .

٣ ـ جسم يتلقى هذه الذبذبات .

أما الصوت اللغوي Linguistic sound الذي تؤلف مادته علم الصوت فأنـــه : الاثر السمعي الذي يصدر طواعيه عن تلك الاعضاء التي يطلق عليهـــا اسم (جهاز النطق) ، وهو تمثيل للعناصر الثلاثة التي ألمعنا اليها ، فأعضاء النطق تمثل العنصر الاول ، والاثر السمعي المتعلق بالصوت من حيث انتقال موجاته في الهواء يمثل العنصر الثاني . أما اذن المستمع التي تتلقى تلك الذبذبات فأنها تشكل العنصر الثالث .

لقد عرف العلماء العرب الصوت وطبيعته وغير قليل من خصائصه ، والحدث الكلامي Speech Event وكيفية حصوله وقوانينه وجهاز النطق عند الانسان ـ مما سيرد بيانه في قادم الفصول ، ويهمنا هنا ان نجتلي اهم ما عرفوه في فيزياوية الصوت ، وخصائصه العامة .

لقد أحاط اخوان الصفا (القرن الرابع الهجري) بالمعلومات الاساسية للصوت ، وتبين لهم ان منشأ الاصوات حركة الاجسام المصوته ، وأن هذه الحركة تؤثر في الهواء وهو (لشدة لطافته وخفة جوهره ، وسرعة حركة أجزائه ، يتخلل الاجسام كلها ، فاذا صدم جسم جسما اخر انسل ذلك الهواء من بينهما وتدافع وتموج الى جميع الجهات ، وحدث من حركته شكل كروي ، واتسع كما تتسع القارورة من نفخ الزجاج فيها ، وكلما اتسع ذلك الشكل ضعفت حركته وتموجه الى ان يسكن ويضمحل .. » . الرسائل ١٨٩/١ .

كما اشاروا الى « الاثر السمعي للصوت » وسموه « القوة السامعة للاصوات » وعرفوا « الوسط الناقل » للصوت وانواعه المختلفة . ومع ما يشوب تقسيمهم الاصوات من روح الفلسفة والمنطق فأنه دال على بصر بالصوت وبحقيقته .

وقد تنبهوا الى الحقيقة العلمية التي ترى أن « علة عظم الصوت انما بحسب عظم الاجسام المصوتة ،

وشدة صدمها ، وكثرة تموج الهواء في الجهات عنها » الرسائل ١/١٨٨ .

ولاخوان الصفا ملاحظات نافعة في **سعة الموجة** Ampitude وقسموها ثماني درجات متقابلة هي : العظيم والصغير ، والسريع والبطيء ، والحاد والغليظ ، والجهير والخفيف . الرسائل ١/١٩٣ .

ونجد عند ابن سينا (٤٢٨ هـ) اهتماما جليا بالصوت ، يمكننا تبيانه من خلال كتابه « الشفاء » ورسالته » اسباب حدوث الحروف « وسواهما من آثاره .

فقد عرف الصوت أنه « تموج الهواء ودفعه بقوة وسرعة من اي سبب كان » اسباب حدوث الحروف .

والصوت عنده نوعان : نوع سماه **قرعا** يختص بـ « مثل ما تقرع صخرة أو خشبة » واخر دعاه **قلعا** ومثل له « بقلع أحد شقي مشقوق عن الاخر كخشبة تنحى عليها بأن تبين احد شقيها عن الاخر طولا » الشفاء ٦/٧٠ .

وفصل ما أورده بالقول : ولا تجد مع كل قرع صوتا ، فأن قرعت جسما كالصوت بقرع لين جدا لم تحس صوتا ، بل يجب أن تكون للجسم الذي تقرعه مقاومة ما ، وان يكون للحركة التي للمقروع به عنف صادم فهناك يحس .

وكذلك ايضا اذا شققت شيئا يسيرا ، وكان الشيء لا صلابة له لم يكن للقلع صوت البتة . والقرع بما هو قرع لا يختلف . والقلع ايضا بما هو قلع لا يختلف لان احدهما احساس ، والاخر تفريق لكن الاحساس يخالف الاحساس بالقوة والسرعة » .

وهذا تأكيد على بصر بالصوت ، وعلى معرفة بأثر الذبذبات ووصول ذلك الاثر الى اذن السامع ، لاشتراط المحدثين وصول الاثر السمعي اليها حتى يسمى صوتا .

وأكد ابن سينا أثر العنصر الثاني ، وهو ضرورة وجود الوسط الناقل الذي ينقل الذبذبات الصوتية ، ولا يكتفي بالاشارة اليه ، بل يذكر انواعه : « الشفاء ٧٤/٦ » .

قال « وهذا الشيء الذي فيه هذه الحركات شيء رطب سيال لا محالة اما ماء ، واما هواء ، فتكون مع كل قرع وقلع حركة للهواء ، أو ما يجري مجراه اما قليلا قليلاً وبرفق ، واما دفعه على سبيل تموج ، او انجذاب بقوة » .

وأشار الى التموجات الحاصلة في الوسط الناقل بكونهما تتأدى الى الاذن عن طريق « حركة موجية تعرض للهواء من ذلك » .

ولابن سينا اشارات نافعات عالج فيها جانبا من خصائص الصـــوت ، مثل تقسيمه له : الصلب ، والاملس ، والمتخلخل والمتكاثف ، ولعله عنى بها نوع الصوت المسمى quality وهو تلك الصفة التي تميز صوتا عن اخر وتتوقف على شكل الموجة « الاصوات اللغوية ١٤١ » .

كما ألمع الى درجات سعة الموجة Amplitude فميز بين الصوت الخافت وبين الصوت الجهير اللذين يقتضيان أن يكون الصوت عاليا أو منخفضا .

ولعل اشارته الى « الحـــدة » و « الثقل » في الاصوات تعنى درجة الصوت Pitch ، فالمعروف في علم الصوت الحديث ان الصوت الحاد ، ذلك الصوت التي تزداد فبه سرعة الذبذبات في الثانية الواحدة ، كما ان قلة عددها اشارة الى ثقل الصوت وغلظه .

وأكد ابن سنان الخفاجي (٤٦٦هـ) في مقدمة سر الفصاحة على الجانب السمعي للاصوات فهو عنـده « يدرك بحاسة السمع في محالها ، ولا تحتاج الى انتقال محالها وانتقالها ، وكونها اعراضا منع من انتقالها » . وأشار الى الوسط الناقل وخصه بالهواء .

وانتبه الى الحقيقة العلمية التي تذهب الى ان سرعة الموجات الضوئية أكبر من سرعة الموجات الصوتية

بقوله : « وقد سئل على هذا المذهب عن العلـــة في مشاهدة القصار من بعد يضرب الثوب على الحجر ، ثم يسمع بعد مهلة فيسبق النظر السمع » .

وعلّلَ هذه الحقيقة بـ « أن الصوت يتولــد في الهواء ، والبعد المخصوص مانع من ادراكه » وهـــي ملاحظة دقيقة لان الذبذبات الصوتية في أثناء تموجها في الوسط الناقل الذي هو الهواء بطيئة بالقياس الى النظر الذي يعني الموجات الضوئية .

ويبدو أن ابن سنان أفاد من ملاحظات البيروني (٤٤٠هـ) في كتابه « الجماهر في معرفة الجواهـــر » وسواه من اثاره ، التي أوضح بجلاء فيها سرعة الضوء وسرعة الصوت والفرق الكبير بينهما(*) .

تلك المامة يسيره بمعارف العلماء العرب لاهـــم السمات الفيزياوية للاصوات ، وقد تركنا الخوض في الجانب التطبيقي للصوت على الموسيقى فان له مجالا اخر لا تسعه هذه المقدمة . وكل ما يقال ان معظم مـــا عرفه البحث الصوتي عند العرب ــ فيما قدمناه ــ داخل في علم الصوت السمعي Acoustic phonetic وهو أحد فروع الدرس الصوتي الحـــديث تتلخص مهمته في دراسة الصوت من حيث انتقال ذبذباته في الهواء الى اذن السامع واستكناه أثره السمعي .

جهاز النطق

يطلق اسم جهاز النطق organs of speech على الاعضاء التي تسهم في عملية احداث الكلام ، وهي مشتملة على الرئتين والقصبة الهوائية والحنجرة والحلق وسقفه والتجويف الانفي والشفتين .

والحق أن تسميتها بأعضاء النطق تسمية مجازية، لان لكل منها وظائف أخرى أهم من ذلك بكثير : فاللسان وظيفته ذوق الطعام ، وتستخدم الشفتان لتلقى الطعام عند دخوله الفم ، وتمنعانه من الخروج في أثناء المضغ ، كما تستعملان للمص والرشف وما الى ذلك .

ومن وظائف الاسنان قضم الطعام ومضغه ، ومن وظائف الانف الشم والتنفس ، ودور الرئتين اجراء عملية تنقية الدم من الكاربون المتخلف عن عمليات الاحتراق داخل الجسم .

وهكذا يبدو أن « النطق ليس أكثر من وظيفة ثانوية تؤديها هذه الاعضاء الى جانب قيامها بوظائفها الرئيسة التي خلقت من أجلها » (اصوات اللغة ٤٠) ، وأن اصدار الاصوات الكلامية ليس الا وظيفة واحدة من الوظائف الكثيرة التي تقوم بها هذه الاعضاء .

سنورد في الاتي ذكره تعريفا موجزا باعضاء جهاز النطق كما يعرفها المحدثون (انظر الشكل الموضح).

وما عرفه العرب منها ، ونخلص من ثمة الى الحديث عن مخارج الاصوات عند الفريقين .

يتألف جهاز النطق من :

١ ـ الحجاب الحاجز Diaphragm

وهو عضلة مسطحة على هيأة صفحة من الورق ، تمتد بين عظم القص والعمود الفقري عند الخاصرة ، مكسوة بنسيج غشائي ابيض . ولانه يفصل بين الاعضاء الاخرى كالرئتين والقلب وغيرهما سمي بالحجاب الحاجز .

ويشارك الحجاب الحاجز في عملية التقلص (الزفير) والانبساط (الشهيق) القفص الصدري المشتمل على الاضلاع التي تشكل بتقوسها الى الامام والى الخلف شبه صندوق قابل للحركة .

٢ ـ الرئتان Lungs

وهما شبه منفاخين يشتملان على مجموعة من الاكياس التي يرتبط بعضها ببعض بشعب تتفرع كل منها الى قصيبات صغيرة ، وأخرى أصغر منها ، وهكذا حتى تنتهي كل منها بحويصلة هوائية تحيط بها أوعية دموية دقيقة يجري فيها استبدال ثاني أوكسيد الكاربون الذي يطرحه الجسم بغاز الاوكسجين القادم عن طريق الشهيق من القصبة الهوائية .

ولا تتحرك الرئتان الا بوساطة الضغط ، فهما اشبه بقطعة الاسفنج التي يدخل فيها الماء عند غمسها فيه ، وسرعان ما يخرج منها عند الضغط بالاصبع أو سواها .

وكذلك حال الرئتين فان الضغط المتسلط عليهما من الحجاب الحاجز والقفص الصدري يطرد ما بهما من هواء في حالة الزفير ، ويعود الهواء اليها في حالة الشهيق .

٣ ـ القصبة الهوائية Wind pipe

وهي فراغ رنان مؤلف من حلقات غضروفية مرصوفة غير كاملة الاستدارة من الخلف ، يقف بعضها فوق بعض بشكل عمودي ؛ وتقع القصبة بموازاة العمود الفقري ، وطولها نحو ١١ سم وقطرها بين ٢ سم ـ ٢ر٥ سم .

٤ ـ الحنجرة Larynx

وهي تجويف غضروفي متسع نسبيا ، يقع في نهاية القصبة الهوائية ، مشتمل على غضاريف ثلاثة :

العلوي منها ناقص الاستدارة من الخلف ، وعريض بارز من الامام ويعرف جزؤه البارز بتفاحة آدم Adam's apple لانه أكثر بروزا في الرجال منه في النساء .

اما الغضروف الثاني فهو تام الاستدارة ومكانـه اسفل الغضروف الاول ، ويتألف الغضروف الثالث من قطعتين موضوعتين فوق الغضروف الثاني من الخلف ، ومهمته دعم الغضروفين الاول والثاني ليمكن التحكـم في اغلاق فتحة المزمار glottis وفتحها .

وفي الحنجرة الوتران الصوتيّان Vocal bands وهما شبه شفتين تمتدان في تجويف الحنجرة أفقيا من الخلف الى الأمام ، ويلتقيان عند الجزء البـــارز من الغضروف العلوي المسمى بتفاحة آدم .

ويبلغ معدل طول الوتر الصوتي عنـد الانسـان البالغ نحو ٢٣ مليمترا ، وقد يصل في بعض الاحيان الى ٢٧ ملبمترا ، ويختلف الوتران عند الاطفال والنسـاء والرجال ، فهما عند الرجال اطول واكثر غلظاً مما عند النسـاء ، وما عندهن أكثر طولا وغلظا مما عند الاطفال .

وللوترين أوضاع مختلفة ، وقدرة على الحركة ، وبالتقائهما وعدمه تتحدد صفة الصوت من الجهر والهمس – مما سيأتي بيانه – ويهمنا هنا الالماع الى الفتحة التي يؤلفانها عند التقائهما المسماة بفتحة المزمار G lottis وأن لها غطاء يتحرك مع مؤخرة اللسان الى الامام والى الخلف يسمى لسان المزمار Egiglottis ، وهو شيء شبيه باللسان وظيفته اللغوية ضئيلة ، وفائدته حماية الحنجرة وطريق التنفس في اثناء بلـع الطعـام

٥ ـ الحلـق Pharynx

وهو تجويف اشبه بفراغ واقع بين الحنجرة وأقصى الحنك ، مهمته كونه فراغا رنانا يضخم الاصوات عنـد صدورها من الحنجرة ، فضلا عن أنه مخرج لطائفة من الاصوات اللغوية .

٦ ـ اللســان Tongue

وهو من أهم اعضاء النطق ، واكثر اعضاء الجسم مطاوعة للحركة والامتداد والانكماش والالتواء عند مختلف الجهات . ولذلك اطلقت كثير من اللغات اســـمه على اللغة ، وقد استخدم القرآن الكريم لفظ اللسان بمعنى اللغة في ثمانية مواضع .

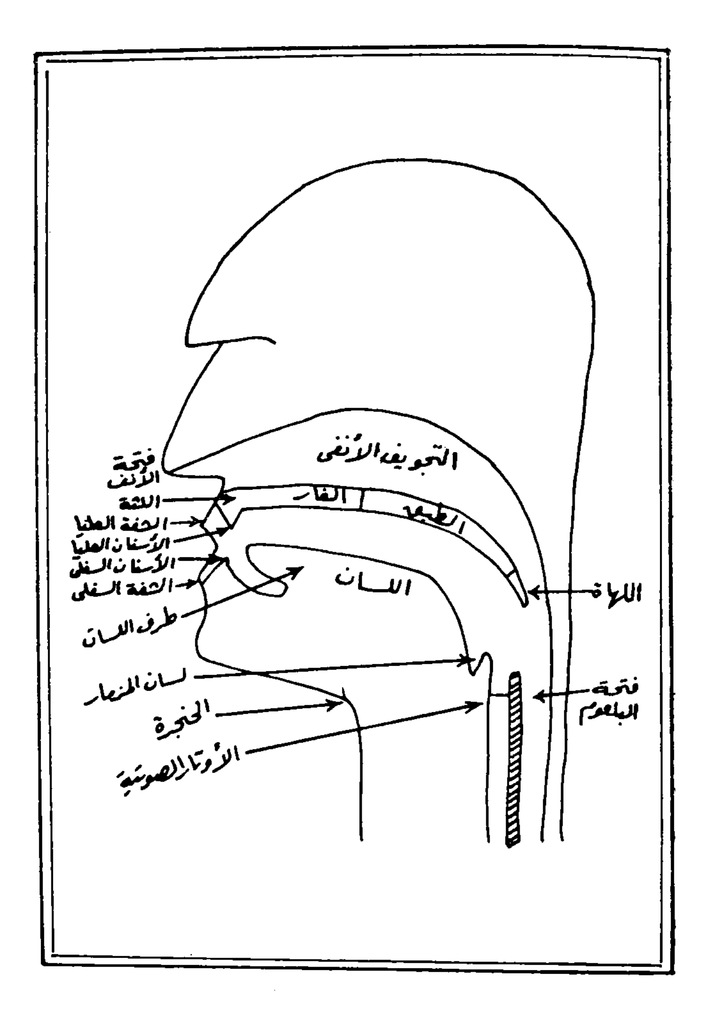
يقسم اللسان الى اربعة أقسام : اقصاه ووسطه ومقدمته ـ وهو الذي يلي طرفه الدقيق ـ وذلقه وهو الجزء المقابل للثة .

٧ ـ سقف الحنك Palate

وهو سقف الفم ، الذي يتصل به اللسان في اوضاعه المختلفة ، وهو أربعة أقسام :

أ ـ اللثة alveolae وهي مقدمته وفيها اصول الثنايا العليـا .

ب ـ وسط الحنك hard plate وهو الجزء الصلب المحدب المحزز ، غير متحرك ويسمى الغار .



التجويف الأنفي
فتحة الأنف
اللثة
الشفة العليا
الأسنان العليا
الأسنان السفلى
الشفة السفلى
طرف اللسان
الغار
الطبق
اللسان
اللهاة
لسان المزمار
الحنجرة
الأوتار الصوتية
فتحة البلعوم

حـ ـ أقصى الحنك velum ويعرف بالطبق وهو الجزء الرخو المتحرك من سقف الحنك .

د ـ اللهاة uvula وهي قطعة متحركة تتدلى الى الاسفل من طرف اقصى الحنك ، وتعمل صماما للهواء الخارج من الحنجرة ، فيغلق الهواء عند ارتفاعها لاتاحة المجال لدخول الهواء الى الفم .

وترجع اهمية الحنك الصوتية الى انه بالتعاون مع اللسان يضيق او يوسع فراغ الفم ، كما انه يمكن ان يكون مرتكزاً للسان عندما يسد مخرج الهواء بالفم ، او عندما يضيقه بحيث يحدث خروج الهواء مسموعا (اصوات اللغة ٨٤) .

٨ ـ التجويف الانفي Nasal Cavity

وهو فراغ يندفع فيه الهواء عند انخفاض الطبق ليمر الهواء الخارج من الرئتين من خلاله عن طريق الانف. وعن طريق التجويف الانفي تنطق النون والميم العربيتين .

٩ ـ الشفتان Lips

وهما من اعضاء النطق المتحركة ، ويساعد انطباقهما وانفراجهما في نطق كثير من الاصوات ، لـذلك كانت اهميتهما كبيرة .

« وتختلف عادات البشر في استغلال حركة الشفتين والانتفاع بهما ، فمن الشعوب من تتميز عادات النطق

لديهم بكثرة الحركة فيهما ، ومنهم من يقتصد » المدخل الى علم اللغة ٢٢ .

تلك هي أهم اعضاء النطق عند الانسان ، والملاحظ ان كل جزء من اجزاء هذا الجهاز العجيب تصدر عددا لا حصر له من الاصوات ، غير أن الشعوب تختلف فيما بينها في استخدام امكاناته استخداما كاملا ، لذلك نجد اتفاقا فيما بينها في نطق بعض الاصوات واختلافا في بعضها الاخر تبعا لاختلافها في استخدام امكاناته المتعددة. « لمزيد من الايضاح انظر المدخل الى علم اللغة ٢٧ » .

يعزى أي صوت الى الموضع الذي خرج منه ، فيسمى حنجريا ـ مثلا ـ لصدوره من الحنجرة بمساعدة اعضاء النطق الاخرى ، كما يسمى حلقيا لصدوره من الحلق ... وهكذا .

ومخارج الاصوات الرئيسة في لغات العالم عشرة « الصوت اللغوي ٩٧ » ابتداء من الحنجرة حتى الشفتين ، وهي كذلك في العربية الفصيحة وسنوردها في الاتي ذكره :

١ ـ الحنجرة : ويسمى الصوت الخارج منها صوتا حنجريا ، والاصوات الحنجرية : الهمزة والهاء ، ويعد بعض المحدثين الهاء صوتا حلقيا .

٢ ـ الحلق : ويسمى الصوت الخارج منه حلقيا ، والاصوات الحلقية : العين والحاء .

٣ ــ اللهاة: ويسمى الصوت الخارج منها لهويا، والقاف هو الصوت الوحيد الذي يخرج منها .

٤ ــ الطبق : ويسمى الصوت الخارج منه طبقيا ، وهو لاصوات : الكاف والغين والخاء .

٥ ــ الغار : ويدعى الصوت المنسوب اليه اليه غاريا ، وهو لاصوات : الشين والجيم والياء .

٦ ــ اللثة : ويدعى الصوت الخارج منها لثويا ، وتعد اصوات : اللام والراء والنون لثوية لخروجها من اللثة ، ويساعد التجويف الانفي في (انتاج) صوت النون كما قدمنا .

٧ ــ الاسنان واللثة : وتسمى اصوات : الدال والضاد والتاء والطاء والزاي والسين والصاد أسنانية لثوية لان مخرجها الاسنان بمصاحبة اللثة .

٨ ــ الاسنان : وتدعى اصوات : الذال والظاء والثاء أسنانية لان مخرجها الاسنان .

٩ ــ الشفة والاسنان : ويسمى صوت الفاء شفويا اسنانيا لان مخرجه الشفة بصحبة الاسنان ، ومن المحدثين من يعده شفويا .

١٠ــ الشفة : ويسمى الصوت الخارج منها شفويا ، وهي لاصوات : الباء والميم (وهذا الصوت يحدث

بمساعدة التجويف الانفي كما قدمنا) والواو في امثال : ولد وورد ...

الآن وقد فرغنا من التعريف الموجز بجهاز النطق والالمام بمخارج الاصوات نحب ان نتبين ما عرفه العلماء العرب من هذا الجهاز وأي مخارج الاصوات عرفوا ، وما قدموا للدرس الصوتي فيهما .

وأول ما ينبغي قوله ان المحدثين لم يتوصلوا الى ما توصلوا اليه الا بمساعدة علم التشريح الحديث والاجهزة المختبرية الدقيقة التي سبروا بها دقائق مكونات الجسم البشري عامة بله جهاز النطق ، ولذلك كان واجبا ان ننظر الى ما قدمه العرب في هذا السبيل بمنظار عصورهم ، وهي حقيقة يجب أن لا تغيب عن اذهان الباحثين .

عرف علماء العرب الكثير من اعضاء جهاز النطق وميزوا دور كل منها في عملية احداث الكلام ، وعزوا كل صوت الى مخرجه ، وما اصدق قول جان كانتينو (المستشرق الفرنسي) في هذا المجال : وكان العرب يعرفون أكثر هذه الاعضاء ، ويطلقون عليها اسماء ذات دقة كافية » دروس في علم اصوات العربية ١٨ .

لقد أشار الخليل ــ في مقدمة العين ١/٥٨ ــ الى الحلق واللهاة ونطع الغار (وهو القسم الثاني مما يعرفه المحدثون) واللسان وأسلته (وهو طرفه المستدق)

وعكدته (أصله) وشجر الفم (وهو مفرجه) واللثة والشفة .

وعرف سيبويه (١٨٠هـ) (الكتاب ٤/٤٣٣) الحلق وقسمه ثلاثة أقسام : أقصاه (وعنى به الحنجرة) وأوسطه وأدناه . والحنك وأقسامه (وذكر ثلاثة منها) واللسان واقسامه والاسنان واشار الى اصولها والثنايا (اصولها واطرافها) والحنك والشفتين ، الخيشوم الذي يقابل الفراغ الانفي عند المحدثين .

كما عرف ابو العباس المبرد (٢٨٥ هـ) ـ المقتضب ١/١٩٢ ـ الحلق ومخارجه الثلاثة والشدق (الفك) واللسانواقسامه والثناياالعليا واصولالثنايا والرباعيات والشفتين والخياشيم . وردد ابن دريد ٣٢١هـ (في مقدمة الجمهرة) وابن جني (٣٩٥ هـ) في (سر صناعة الاعراب) مسميات سيبويه لاعضاء النطق ، الا اننا نلتمس جديدا عند ابن جني في كتابه ـ الذي المعت اليه (ص ١/٩) ـ وهو تشبيه الحلق بالناي ، وتشبيه مدارج الاصوات ومخارجها بفتحات هذا (الناي) التي توضع عليها الاصابع ، وهي اشارة ذكية دالة على قوة الملاحظة وصحة الفهم لاكتناه عمل جهاز النطق .

وقد الفيت ابن سنان الخفاجي (٤٦٦هـ) يردد هذه الحقيقة في كتابه سر الفصاحة ، مما يدل على انها اصبحت عندهم من الحقائق العلمية في تلك العصور .

ومع اننا لا نجد عند العلماء الخالفين كمكي بن ابي طالب (٤٣٧ هـ) في (الرعاية) والرضي (٦٨٤ هـ) في شرح الشافية وابن الجزري (٨٣٣ هـ) في (النشر في القراءات العشر) لاكتفائهم بترديد مسميات سيبويه ، فأننا نتبين الكثير من الجديد عند ابن سينا (٤٢٨هـ) ، وليس في هذا غرابة ، فقد كان الرجل طبيبا ، لــه مؤلفات اثنى عليها القدماء شاهدة على براعته وفيض علمه (انظرها في عيون الانباء ٤٣٧ ـ ٤٥٩) .

فما عرف ابن سينا غضاريف الحنجرة الثلاثة ، وسمى الغضروف الاول (الاعلى) : الفوقاني الذي يقابل عند علماء الصوت the cricoid وعده جزءا من القصبة الهوائية ، كما سمى الغضروف الثاني منها (المكبي) و (الطهر جاري) ووصفــه وصفا دقيقــاً حين شــبهه (كقصعة مكبوبة عليها) .

ونتبين صدق وصفه لهذا الغضروف حين نعلــم ان الطهرجارة (وترد باللام ايضا تعني في معجمـــات العربية شبه كأس يشرب بها ، ومعنى ذلك ان ابن سينا كان على علم دقيق بالتشريح بحيث تسنى لــه وصف هذا الغضروف وسواه مما اورد . « انظر اسباب حدوث الحروف لــه » .

ومن الواضح معرفة ابن سينا بالقصبة الهوائيــة التي سماها (قصبة الرئة) ، قال في كتاب القانون :

« اما قصبة الرئة فهي عضو مؤلف من غضاريف كثيرة دوائر دوائر يصل بعضها على بعض وعلى رأسه الفوقاني الذي يلي الفم والحنجرة »

فاذا أضفنا كل هذه (المعارف) الى ما تقدم ذكره منها ، فأن من نافلة القول بيان ان علماء العرب عرفوا معظم اجهزة النطق ، واذا كان الرعيل الاول اشاروا الى ما بأن من اعضاء النطق حسب ، فأن الاخرين كابن سينا اتموا هذا النقص ، بالاشارة الى الاعضاء الاخرى ، بل ان اخوان الصفا (القرن الرابع) عرفوا دور الرئتين في عملية احداث العملية الكلامية (رسائل اخوان الصفا ٣٩٣/١) وهكذا لم يبق الا الاشارة الى الوترين الصوتيين. وفي الحق انهم ان لم يصرحوا بأسمهما فأنهم استشعروا رنينهما في الصوت المجهور – كما سيأتي بيانه في فصل قادم .

أما مخارج الاصوات ، فقد عرف العلماء العرب من نحويين وقراء جل ما يتعلق بهما ، وان كان عامتهم دعاها بالمخارج فأن ابن دريد سماها – في مقدمة جمهرته – المجاري ، وتفرد ابن سينا بتسميتها بالمحابس .

وهي عند الخليل (في مقدمة العين) ثمانية ، وعند الفراء (٢٠٧ هـ) وقطرب (٢٠٦ هـ) وابي عمر الجرمي (٢٢٥ هـ) وابن دريد (٣٢١ هـ) وابن كيسان (٢٩٩ هـ) اربعة عشر مخرجا .

أما سيبويه ــ ومن تلاه من الخالفين ــ فعدها ستة عشر مخرجا . وقد اوجز الجرمي رأي من ذهب الى عدها اربعة عشر بالقول : (للحروف اربعة عشر مخرجا للحلق ثلاثة مخارج ، وللفم احد عشر مخرجا ، وذلك أنه جعل اللام والنون والراء من مخرج واحد ، وجعل لها سيبويه ومن تابعه ثلاثة مخارج متقاربة) انظر الرعاية ص٢١٧ .

وجل الذي قدمه علماء العربية في مخارج الاصوات صحيح في عمومه ــ كما قال برغشترا سر (التطور النحوي ٧) بيد أن الكثرة في تقسيمات هذه المخارج أمر لا يقره علماء الصوت المحدثون ، بل يؤكدون ضرورة الاجتزاء بالمخارج العشرة التي المعنا اليها .

وللعلماء العرب فضل وضع الهجائية الصوتية لاصوات اللغة العربية ، وقد اختلفوا باديء أمرهم ثم استقرت عند المشارقة والمغاربة ــ بشكل عام ــ حين انزوى البحث الصوتي وصار خاصا بالمقرئين .

ويعد الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥ هـ) أقدم العلماء العرب في وضع الهجائية الصوتية العربية ، وقد اهتدى الى وضعها عن طريق (الذوق) : « فصير أولاها بالابتداء ادخل حرف منها في الحلق » وكان « ذواقه اياها أنه كان يفتح فاه بالالف ثم يظهر الحرف ، نحو : اب ، ات ، اح ، اع ، اغ ، فوجد العين ادخل الحروف

في الحلق ، فجعلها اول الكتاب ثم ما قرب منها الارفع فالارفع ، حتى اتى على اخرها وهو الميم » مقدمة العين ٤٧/١ .

ومع ايمانه ان (الهمزة مخرجها من اقصى الحلق) كما صرح في المقدمة التي المعنا اليها ـ الا انه أثر عدها آخر الاصوات ، لانها على وفق رايه «مهتوتة مضغوطة» ف (لا تقع في مدرجة من مدارج انلسان انما هي هاوية في الهواء » .

وعلى وفق هذا المنهـج ـ الذي نستطيع ادخاله تحت علم الصوت النطقي Articulatory phonctcis رتب الخلبل هجائيته الصوتية كالاتي ذكره :

ع ح هـ خ غ ـ ق ك ـ ج ش ض ـ ص س ز ـ ط د ت ـ ظ ث ذ ـ ر ل ن ـ ف ب م ـ و ا ي الهمزة .

ثم جاء سيبويه فأعاد الهمزة الى موضعها في اصوات الحلق ، ولكنه عد الالف ضمن هـذه الاصوات ايضا ، وظل هذا الوهم متداولا عند من تلاه من لغويي العرب كأبن دريد مثلا حتى أعاده المتأخرون منهم الى مكانه بين اصوات اللين .

وهجائية سيبويه كما تستبان في الكتاب ٤٣١/٤ :

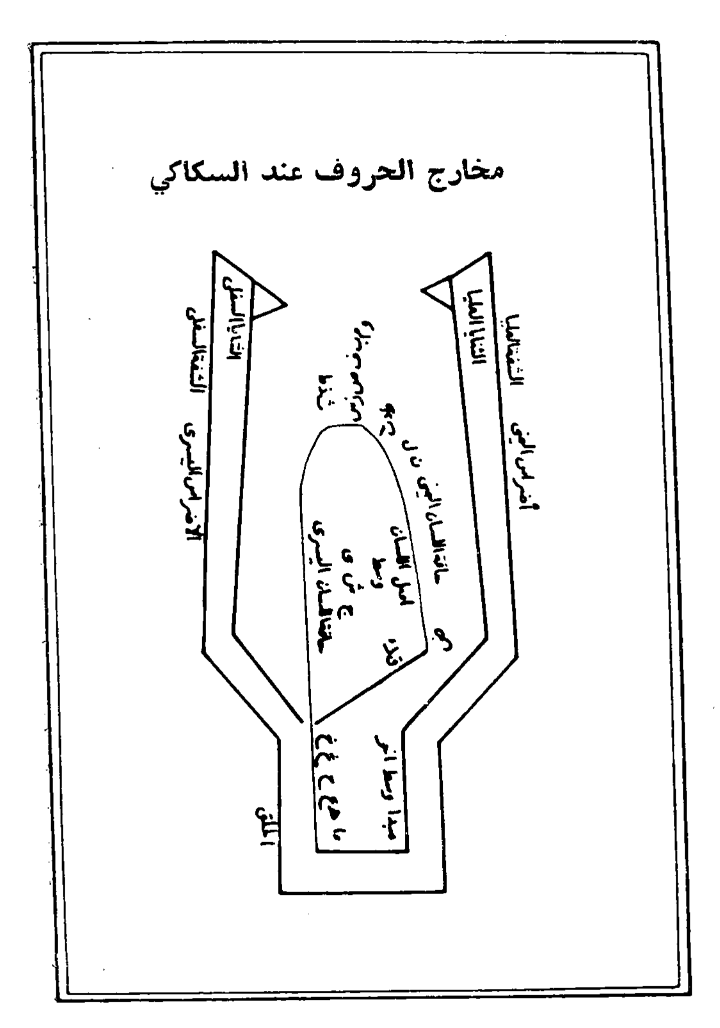
الهمزة ، الالف ، هـ ، ع ، ح ، غ ، خ ، ق ، ك ، ج ، ش ، ي ، ض ، ل ، ن ، ر ، ط ، د ،

ت ، ز ، س ، ص ، ظ ، ذ ، ث ، ف ، ب ، م و .

ولا تختلف هجائية المبرد (في المقتضب ١/١٩٢ ـ ١٩٤) وابن جني (في سر الصناعة ١/٥٠ ـ ٥١) كثيرا عن هجائية سيبويه ، وقد أقر ابن جني بهذا في قوله : « فهذا هو ترتيب الحروف على مذاقها وتصعدها وهو الصحيح ، فأما ترتيبها في كتاب العين ففيه خطل واضطراب ، ومخالفة لما قدمناه آنفا مما رتبه سيبويه وتلاه اصحابه عليه ، وهو الصواب الذي يشهد التأمل له بصحته » . سر الصناعة السابق .

وتختلف الهجائية عند السكاكي (٦٢٦هـ) قليلا عن هجائية سيبويه ، ويمتاز عمن سبقه من علماء العربية بمحاولة رسم (شكل مصور) لمخارج الاصوات ربما كانت الاولى في نوعها في هذا الجانب ، لاكتفاء السالفين بالشرح المقتضب للمخارج ، أما السكاكي فقد جمعهما معا . (أنظر الشكل الموضح) .

وقبل ان ننتقل الى فصل آخر نحب ان نومىء بعد هذا العرض الى معرفة العلماء العرب لكثير من أجزاء جهاز النطق عند الانسان مستعينين بما تهيأ لهم من وسائل النطق الذاتي ، واشهد ان عطاءهم كان وفيرا كثيرا مع شحة هاتيك الوسائل وبدائيتها في كثير من الاحيان . وقد دفعهم حبهم للغة القرآن مع اصطناع هجائية صوتية لها ـ ان خانهم التوفيق في بعض جزئياتها ـ فما خانهم التوفيق فيها جميعا .


مخارج الحروف عند السكاكي

أصوات العربية

يراد بأصوات العربية (حروفها) ، وهو مصطلح درج عليه علماء العربية .

وقد نعى فريق من المستشرقين(*) على سيبويه وسواه من علماء العرب استخدامهم (الحرف) الذي يتخذ تعبيراً عن الرمز المكتوب ، ولما يسمع ايضاً وفي هذا ـ على رأيهم ـ مجانبة للدقة .

ومع ما يبدو على الرعيل الاول من علماء العربية من عدم التفريق بين (الحرف) و (الصوت) على ما نحو ما يفرق الدرس الصوتي الحديث بين phoneme و sound او all ophone

فالحرف لديهم يشمل ذلك كله ، فاننا نجد فريقاً آخر تلاهم عرف مصطلح (الصوت) الى جانب معرفة (الحرف) منهم ابن جني (٣٩٢هـ) وابن سينا (٤٢٨هـ) اللذان فرّقا بينهما ، وابان ما قدّما عن بصر بمواضع الاختلاف بينهما .

أما ابن جني فقد أورد في سر صناعة الاعراب (٦/١) ما نصه :

« اعلم أن **الصوت** عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا ، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين ،

مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع اينما عرض له حرفاً .

وتختلف اجراس الحروف بحسب اختلاف مقا طعها ، واذا تفطنت لذلك وجدته على ماذكرته لك . الا ترى انك تبتدىء الصوت من اقصى حلقك ثم تبلغ به اي المقاطع شئت ، فتجد له جرساً ما ، فان انتقلت عنه راجعاً منه ، أو متجاوزاً له ، ثم قطعت ، احسست عند ذلك صدى غير الصدى الأول » « وانظر أمثلة اخرى في الخصائص ١/٣٣ و ٢/١٤١ » .

ويستفاد من تحليل نص ابن جني انه عنى بالصوت ذبذبة الوترين الصوتيين ، وان لم يصرح بذلك (المدخل الى علم اللغة ٨٥) بدلالة اشارته الى كون الصوت عرضا « يخرج مع النفس مستطيلا متصلا » حتى يعرض له ما يخفف من « اندفاعه » .

كما يفهم من اشارته الى « الحرف » مقابلته لـ « مخرج الصوت » بدلالة قوله « فيسمى المقطع اينما عرض له حرفاً » ... « وتختلف اجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها » يعنى اختلاف مخارجها ، وهي حقيقة يؤيدها علماء الصوت المحدثون .

وبمثل هذا يمكن فهم قول ابن سينا الذي ذكره في رسالته « اسباب حدوث الحروف » ، وهو :

« الحرف هيئة للصوت عارضة له ، يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدّة والثقل تميزاً في المسموع » .

ومهما يكن من أمر ، فليس العرب الأوائل وحدهم خلطوا بين (الحرف) و (الصوت) فقد ظل كثير من العلماء الاوربيين الى عهد قريب يسلكون المسلك نفسه (الاصوات اللغوية ١١٢) .

عرف العلماء العرب الاصوات الأصول التي قصدوا بها الاصوات الرئيسة ، ودعوها (حروف المعجم) ، وعرفوا الى جانبها ستة منها هن (فروع) : « يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار » الكتاب ٤/٤٣٢ واخرى عدّوها « غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيته ، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر » « المصدر السابق » ، وكان تمام (جيدّها) و (رديئها) اثنين وأربعين صوتاً .

أما اصوات (الاصول) فعند جمهورهم تسعة وعشرون صوتاً وبلغت عند المبرد (٢٨٥هـ) وثعلب (٢٩١هـ) لسان العرب ١/١٨ والازهري (٣٧٠هـ) التهذيب ١/٤٨ وابي حاتم الرازي (٣٢٢هـ) الزينة ١/٦٤ واخوان الصفا (القرن الرابع) ثمانية وعشرين .

ويسقط هؤلاء (الهمزة) منها ، بزعم ان الهمزة « لا صورة لها تعرف بها ، وانما يستعار لها صورة

الألف ، ومرة صورة الواو ، ومرة صورة الياء » كما اشار مكي بن ابي طالب (٤٣٧هـ) في الرعاية ٧٤ وهو رأي الخليل (١٧٥هـ) فيما روى ابن كيسان .

والذي يمكن الركون اليه – في هذا الباب – عدّ اصوات العربية ثمانية وعشرين صوتاً باسقاط الألف اللينة – لا الهمزة – لانها باختلاف صورها لا تعدو ان تكون مدّاً ، ولا تعتريها الحركات (انظر كلام العرب للدكتور حسن ظاظا ص ١٦ » .

اما الاصوات **المستحسنة** التي كثر ورودها في كلامهم مما يسميه الغربيون Frequency فهي :

١ – **النون الخفيفة** وترد في بعض المظان : الخفية، ومن المعروف ان ثمة فرقاً بين الخفيفة وبين الخفية ، فالأولى احدى نوني التوكيد أما الثانية فهي نون الاخفاء لأنها على ما أورد مكي بن ابي طالب (في الرعاية ص٧٤): « تخفى في اللفظ اذا اندرجت بعد حرف ما قبلها » .

٢ – **الألف الممالة** : وهي – فيما سيرد بيانه في فصل قادم – ان ينحى بالفتحة نحو الكسرة ، بحيث لو زيدت لصارت الألف ياء وتسمى عندهم الامالة الكبرى وتقابلها الامالة الصغرى الخاصة بإمالة الفتحة الواردة قبل الألف .

٣ – **الهمزة بين بين** : وهي الهمزة المتحركة الواقعة بعد الف ، وتنطق عندهم صوتاً بين الهمزة وبين

صوت حركتها ، ويجعلون حركة الهمزة سهلة بحيث تبدو ساكنة فينطقون بصوت يسمع بين الهمزة والالف ان كانت مفتوحة مثل : تساؤل ، وبينها وبين الياء ان كانت مكسورة مثل : دعائم .

٤ ـ **ألف التفخيم** : وكانت خاصة بلهجة اهل الحجاز كما ذكر سيبويه (الكتاب ٤٣٢/٤) ، ووصفها الدكتور تمام حسان (اللغة العربية ٥٣)بكونها الفا ... « تستدير في نطقها الشفتان قليلا مع اتساع الفم نتيجة لحركة الاسفل ، ويرتفع مؤخر اللسان قليلا فيصير الفم في مجموعة حجرة رنين صالحة لانتاج القيمة الصوتية » .

وربما يكون ما كتب به رسم القرآن الكريم بالواو بدل الالف في امثال : الصلاة والزكاة والحياة على هذه اللهجة الحجازية .

٥ ـ **الشين كالجيم** : وهي الشين المنطوقة نطق J الانكليزي المسموعة في زماننا في لهجة اهل الشام وفي بعض ارياف الجنوب عندنا في العراق .

ويبدو انها خاصة بالشين المجاورة لصوت الدال في نحو : اشدق مشدود وسواهما لدواعي المماثلة Assmilation التي سنعالجها في فصل قادم .

٦ ـ **الصاد التي كالزاي** : وهي صاد مجهورة مفخمة ترد في الصاد الساكنة التي تليها الدال ، وقد وصفها

ابن دريد (٣٢١هـ) في جمهرته ١٣/١ فأحسن الوصف.. قال: فاذا سكنت الصاد صعفت فيحولونها في بعض اللغات زايا، فاذا تحركت ردوها الى لفظهم مثل قولهم: فلان يزدق في كلامه فاذا قالوا: صدق قالوها بالصاد لتحركها وقد قرىء: « حتى يزدر الرعاء » « بالزاي ».

كما قالوا: الحزد في معنى القصد (الجمهرة ١٢١/٢) وجزدت الشيء وحصدته (نفسه ٢٦٠/٢).

بقي ان نشير الى **الاصوات غير المستحسنة التي** يدل مجملها كونها من لهجات العرب، لذلك لم يستحسنوا القراءة بها في القرآن ولا في الشعر. وسنرتبها ترتيب سيبويه لها:

١ ـ الكاف التي بين الجيم والكاف:

واورد ابن عصفور (٦٦٩هـ) في المغرب ١ / ٣٢٦ مثلا لها في نطقهم الفعل الماضي كمل على شكل جمل، وربما كان ذلك ضربا مما يعرف بالكشكشة الشائعة في كلامنا الدارج في العراق، من قلب كاف الخطاب للمؤنث جيما.

٢ ـ الجيم التي كالقاف:

واورد ابن دريد في جمهرته ٥/١ (وانظر همع الهوامع ٢٢٩/٢) مثالا عليها في قولهم في جمل: كمل وذكر انها « لغة سائرة في اليمن كثيرة في أهل بغداد ».

اقول : انها الجيم السامية التي نجدها في العبرية مثلا .

٣ ـ الجيم التي كالشين :

اورد جلال السيوطي (٩١١هـ) في الهمع ٢٢٩/٢ : واكثر ذلك اذا سكنت وبعدها دال وتاء نحو قولهم : الاجدر : الاشدر وفي اجتمعوا : اشتمعوا » .

اقول : وهذا من المماثلة **Assmilation** ايضا .

٤ ـ الضاد الضعيفة : قال ابو سعيد السيرافي (٣٦٨هـ) : انها لغة قوم ليس في لغتهم ضاد ، فاذا احتاجوا الى التكلم بها في العربية اعتضلت عليهم ، فربما اخرجوها ظاء لاخراجهم اياها من طرف اللسان واطراف الثنايا ، وربما تكلفوا اخراجها من مخرج الضاد فلم يتأت لهم فخرجت بين الضاد والظاء » شرح شافية ابن الحاجب ٢٥٥/٣ .

ونقل الرضى في شرح الشافية نقلا عن ابن مبرمان مثالا للضاد الضعيفة وهو قولهم : اضرد له بدل اثرد له .

وهذا معناه ان صوت الثاء ينقلب الى نظيره الضاد .

٥ ـ الصاد كالسين :

ومثل لها ابن عصفور (في المقرب ٣٢٦/١) بقولهم : سابر في صابر .

اقول : ليس من العسير ان نتبين ان كلا من الصاد والسين صوت لثوي رخو مهموس ، والفرق بينهما ان الصاد مطبق (مفخم) والسين بعكسه ، لذلك شاع في كلام العرب : السراط والصراط ، والسقر والصقر ، والوسخ والوصخ ، وداره سقب داري وصقب داري « وانظر امثلة اخرى ابدال أبي الطيب اللغوي ٣/١٧٢-١٩٦ » وربما كانت السين فيها تلفظ عندهم نطق الصاد التي المعنا اليها .

٦ ـ الطاء التي كالتاء :

ومثلوا لها قولهم : قال في طال وافاد السيوطي في الهمع ٢/٢٣٠ انها « تسمع من عجم اهل المشرق كثيرا لفقد الطاء من لسانهم » .

وكل من الطاء والتاء صوت اسناني لثوي انفجاري (شديد) مهموس ، والفرق بينهما ان الطاء مطبق (مفخم) وهو نظير التاء .

٧ ـ الظاء التي كالثاء :

ومثالها عندهم : ثالم في ظالم . وهو امر يصعب تصديقه فالظاء صوت اسناني مجهور مطبق ، اما الثاء فصوت اسناني مهموس ليس فيه اثر للاطباق ، ويقتضي الامر ان تفقد الظاء احدى صفتي الجهر والاطباق اوهما معا حتى تكون ثاء «انظر في ذلك ايضا اللغة العربية٥٦» .

٨ ــ الباء التي كالفاء :

ومثلوا لهـا قولهم : فور بـدل بور(*) الصاحبي ٥٤) ، ويبدو انها كانت كثيرة في لغة الفرس ولعل العرب اخذوها عنهم (شرح الشافية ٢٥٦/٣ والهمع ٢٣٠/٢).

والباء هنا هو صوت   الانكليزي ، وهو الصوت الشفوي الانفجاري المهموس ونظيره صوت الباء العربية .

الان وقد فرغنا من هذه الالمامة عن اصوات العرب المستحسـنة وغير المستحسـنة ، نحب ان نورد بعض الملاحظات العامة عنهما ، ولم نشـأ الالماع الى الاصوات التي اشار اليها ابن سينا في رسالته « اسباب حدوث الحروف » ، لانها ليست من اصوات العرب .

واهم ما يمكن ايراده من ملاحظات :

١ ــ ان محاولة العلماء العرب في حصـر اصوات العربية المسموعة في زمانهم عمل علمي جيد ، اعتمد منهج السماع والمشافهة .

٢ ــ انهم ادخلوا مع الاصوات الاصول ما التقطوه من لهجات العرب الجيدمنها والرديء على وفق تعبيرهم .

٣ ــ لم يضعوا رموزا كتابية للاصوات المستحسنة وغير المستحسنة مكتفين بالامثلة .

٤ ــ ان بعض ما أورد داخـل في قانون المماثلـة وبعضه آت من تأثر فريق منهم بالاعاجـم عـن طـريق المجاورة او الاختلاط

صفات الأصوات

ألممنا في فصل سبق بجهاز النطق عند الانسان ، وعرفنا المهم من وظائف اعضائه ، وسنحاول في هذا الفصل ان نستقرىء صفات الاصوات ، ولكي نوضح ذلك نجد لزاما علينا تتبع مسار الهواء الخارج من الرئتين في حالة الزفير ، وسنتبين من خلال ذلك ما نحن بصدده .

تتم عملية الكلام عن طريق (انتاج) الاصوات اللغوية ، بضغط الحجاب الحاجز على الرئتين ليدفع ما فيهما من هواء (الزفير) الى القصبات .

ويواجه الهواء المندفع غير قليل من الحوائل والفراغات الرنانة التي تحدد بعض صفاته او تمنحه شيئا من العمق .

فالحنجرة المتصلة بالقصبات مثلا اشبه بحجرة رنين وفيها الوتران اللذان تحدد ذبذبتهما طبيعة الصوت من حيث الجهر والهمس ، فاذا التقيا كان الصوت مجهورا ، واذا لم يلتقيا سمي مهموسا .

ثم ان الهواء يتجه من الحنجرة ، اما الى التجويف الانفي عن طريق حجب اللهاة له او الى تجويف الفم ، بعد مروره في الحلق ، وربما يتم اغلاق مجرى الهواء في الفم عن طريق التقاء عضو بآخر من اعضاء جهاز

النطق ، فاذا كان الالتقاء محكما بحيث ينفصل كل منهما انفصالا مفاجئا يسمح باندفاع الهواء بغتة سمي الصوت شديدا (أو انفجاريا) كالحاصل في الدال والتاء والباء مثلا ، واذا جرى تضييق في مجرى الهواء من جراءالتقاء عضوين التقاء يسيرا بحيث يسمح لسماع احتكاك مسموع ، فان الصوت يسمى عندئذ صوتا رخوا (او احتكاكيا كالحاصل عند النطق بالذال والفاء والثاء ، ولحالات التقاء عضوين من اعضاء النطق الثلاث حالات : شدة وتوسط ورخاوة) .

وللسان دور واضح في تعيين كثير من مخارج الاصوات وتحديد صفاتها ،وربما قامت الشفتان وحدهما او بالمشاركة مع الاسنان بهذه المهمة ، كما قد يتخذ اللسان شكلا مقعرا في الفم فتسمى الاصوات الناتجة عن هذه الحالة مطبقة .

وجل ما يسمى بالاصوات الصامتة (او الساكنة) Consanant sounds يلقى الهواء المندفع عقبات وحوائل تؤدي في بعض الحالات الى اغلاق تام لمجرى الهواء ، وبعكسها اصوات اللين Vowel sounds فانها تجد حدا ادنى من تلك الحوائل بالقياس الى ما تصادفه الاصوات الصامتة .

وتعد اصوات العربية كلها عدا اصوات الواو والياء والالف وما يتفرع منها من حركات اصواتا صامتة ،

وللاصوات الصامتة بعض الصفات الخاصة بها كالتكرار مثلا فانه صفة الراء وحدها لان اللسان يضرب في الفم ضربات عدة .

تلك محصلة صفات الاصوات العامة والخاصة عند المحدثين ، ولا شك انهم افادوا من الاجهزة الصوتية الحديثة ومن علم التشريح .

ومع ذلك كله فلا نجد اختلافات كثيرة بين الذي قدمه علماء العرب في هذا السبيل وبين هؤلاء ، وسنتبين ذلك بايجاز في الآتي ذكره مبتدئين **بالصفات العامة للاصوات :**

الجهر والهمس :

تقسم الاصوات من حيث ذبذبة الوترين الصوتيين وعدمهما الى : صوت مجهور Voiced ومهموس Voiceless والمجهور : ذلك الصوت الذي تصحبه ذبذبة الوترين ، والمهموس مالا تصحبه تلك الذبذبة .

لقد عرف العرب هذا التقسيم ،وميزوا بين مجهور الاصوات وبين مهموسا ، فهذا سيبويه يعرف المجهور قائلا : انه « حرف اشبع الاعتماد في موضعه ، ومنع النفس ان يجري معه ، حتى ينقضي الاعتماد ويجرى الصوت » والمهموس عنده (حرف اضعف الاعتماد في موضعه ، حتى جرى النفس معه) .

ولم يخـرج عن هذين التعريفين ابن جني في سـر الصناعة والزمخشري (٥٣٨هـ) في المفصل وابن يعيش (٦٤٣هـ) في شرح المفصل وابن الجزري (٨٣٣هـ) في النشر .

وذهب آخرون الىتعريفهما تعريفات اخر منها ذهاب ابن كيسـان (٢٩٩هـ) الـى عد الصـوت المجهـور : « ما لزم موضعة الى القضاء حروفه وحبس النفس ان يجري معه فصار مجهورا ، لانه لم يخالطه شيء بغيره » .

والمهموس « حرف لان مخرجه دون المجهور وجرى معه النفس ، وكان دون المجهور في وقع الصوت » «انظر لسان العرب ١٣/١» .

وابتسر السكاكي (٦٢٦هـ) في تعريف الجهر بأنه « انحصار في مخرج الحرف » والهمس : جرى ذلـك فيه » مفتاح العلوم ٣٩ .

ومن استقراء هذه التعريفات يمكن اجمال رايهم في ظاهرتي الجهر والهمس :

١ ـ انهماغفلوا الاشارة الى الوترين الصوتيين .

٢ ـ اشارتهم الى تمكن الصوت المجهور وقوتـه المفهوم من (اشباع الاعتماد) وضعفه في المهموس .

٣ ـ الاعتماد على جريان النفس في تمييز المجهور ومنعه (او حبسـه او انحصاره) في المهموس .

وقد ثار جدال بين المشتغلين بالبحث الصوتي من المحدثين حول صحة وصف العلماء العرب للظاهرتين، ففريق مؤيد أحسن الظن بهما ، وآخر منكر لاحداثه اللبس والتداخل بينه وبين الصوت الشديد والرخو .

والحق ان العلماء العرب ـ مع ما بدا من جهلهم للوترين الصوتيين ودورهما المعروف في تحديد صفتي الجهر والهمس ، لم يكونوا على جهل بأهم ظاهرة في الصوت المجهور ، وهي صفة (التمكن والقوة) التي تتأتى من (توترهما) عند التقائهما ، واستشعارهم هذا دليل واضح على معرفتهم بالظاهرة ، ولا شك ان « جهلهم بالسبب لا يستتبع مطلقا انهم لم يستطيعوا ادراك » « الاثر » انظر هنري فليش : مجلة اللغة العربية بمصر ٣ [١٦٨] ص ٥٨ .

لقد اورد ابو سعيد السيرافي (٣٦٨هـ) نصا مهما لسيبويه في شرحه على الكتاب يدل على فهم وادراك تأمين لظاهرتي الجهر والهمس ، بالاشارة الى (الرنين) او ما يسميه (صوت الصدر) في المجهور : وغيابه في الصوت المهموس ، اما النص : « المهموس اذا اخفيته ثم كررته امكنك ذلك ، واما المجهور فلا يمكنك فيه .ثم كرر سيبويه التاء بلسانه واخفى فقال : الا ترى كيف يمكن ؟ وكرر الطاء والدال وهما من مخرج التاء فلم يمكن .

قال : **وانما الفرق بين المجهور والمهموس انك لاتصل**

الى تبين المجهور الا ان تدخله الصوت الذي يخرج من الصدر .

فالمجهورة كلها هكذا يخرج صوتهن **من الصدر** ويجري في الحلق ... اما المهموسة فتخرج اصواتها من مخارجها ... **والدليل على ذلك انك اذا اخفيت همست بهذه الحروف ولا تصل الى ذلك في المجهور »** .

شرح السيرافي لكتاب سيبويه مخطوطة التيمورية.

وعلق الدكتور ابراهيم انيس على عبارة سيبويه بالقول : انها تتضمن آراء قيمة في الدراسة الصوتية تتفق مع احداث النظريات الحديثة الى حد كبير . فسيبويه يرشدنا هنا الى وسيلة اخرى لتمييز المهموس من المجهور وذلك عن طريق اخفاء الصوت ، وانه يمكن هذا الاخفاء في المهموسات دون ان تفقد معالمها . اما الاخفاء في المجهورات فيترتب عليه ان الحروف تضيع صنعتها المميزة فلا نسمع الدال دالا حينئذ ، وانما نسمع صوتا اخر هو التاء ... وكذلك يحدثنا سيبويه عما يسميه بصوت الصدر ويراه صفة مميزة للمجهور . ولعل هذا الصوت هو صدى الذبذبات التي تحدث في الوترين الصوتيين بالحنجرة» الاصوات اللغوية ص ١٢٣ .

وهكذا يكون اساس التمييز بين الاصوات المجهورة والمهموسة ـ عند سيبويه ـ فرق بين صوت الصدر ـ في المجهور ـ وصوت المخارج ـ وجلها في الفم .. باعتبار

ان صوت الصدر ـ في المجهور ـ وصوت المخارج ـ وجلها في الفم .. باعتبار أن **صوت الصدر** غائب في المهموس موجود بسبب ارتفاع الصوت في المجهور .

اما اشارة علماء العربية الى جريان الصوت ومنعه ، فهي تأكيد لمعرفتهم بدور الرئتين في العملية الصوتية ، واذا كان سيبويه اكتفى بالالمع الى خروج الصوت من الصدر ، فان ابن جني طور هذه الملاحظة بالاشارة الى الصدى « انظر سر صناعة الاعراب ١/٣٦ » الذي لا يخرج عن كونه احساس المرء بذبذبات الوترين في اثناء النطق بالصوت المجهور في اثناء جريان النفس من الرئتين .

ان منهج البحث الصوتي عند العرب داخل في علم الصوت النطقي Articulalory phonctcis ، وهذا يقتضي الاذن المرهفة واليقظة التامة للتمييز بين الظواهر الصوتية المختلفة التي عالجتها مباحثهم ، وظني ان كل هذا كان متوفرا عندهم ، ولم يخنهم التوفيق في بيان مجهور الاصوات ومهموسه الا في عدهم اصوات: الهمزة والقاف والطاء مهموسة ، وهي عند المحدثين مجهورة .

اما صوت الهمزة فقد اختلف المحدثون في صفته ، ففريق وصفه بالهمس لانه ينطق باغلاق الوترين اغلاقاً تاما يمنع مرور الهواء فيحتبس خلفهما الهواء ثم يفتحان

فجأة فينطلق الهواء متفجرا . ـ ونحن اميل اليه ـــ وعده اخرون صوتا ليس بالمجهور ولا بالمهموس لان وضع الوترين معه لا يسمح بشيء من ذلك .

انظر مناهج البحث في اللغة ٩٧ والمدخل الى علم اللغة ٧٧ وأصوات اللغة ١٨٣ ودروس في علم اصوات العربية ١٢٣ » اما القاف والطاء فهما مهموسان ، وربما كانا مجهورين في قسم من اقسام العربية القديمة فسمعهما العلماء العرب وذهبوا الى القول بجهرهما .

الشدة والرخاوة :

تبينا راي المحدثين في الشديد والرخو من الاصوات ، بأن الشديد يحدث عن طريق التقاء عضو باخر التقاء فجائيا وعندما ينفصلان يحدث الصوت ، اما الرخو فذاك يعني ان الالتقاء بينهما ليس شديدا مما يسمح بمرور صوت احتكاكي .

وقد عرف سيبويه الصوت الشديد بالقول : «ومن الحروف الشديد **وهوالذي يمنع الصوت ان يجري فيه،** وهو الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والتاء والدال والباء » .

واشار الى الاصوات الرخوة بقوله : ومنها الرخوة وهي : الهاء والحاء والغين والخاء والشين والصاد والضاد والزاي والسين والظاء والثاء والذال والفاء ،

وذلك اذا قلت : الطس وانقض واشباه ذلك **أجريت فيه الصوت ان شئت »** .

واضاف علماء العربية صفة ثالثة للصوت ـ غير الشديد والرخو ـ دعوه متوسطا تارة ، وما بينهما تارة أخرى « شرح الشافية ٣/٢٦٠ » جمعوا اصواتها في لفظ : « لم نرع » تارة و « لم يروعنا » تارة اخرى ، ولا شك ان الالف ليس منها بالتأكيد لانه من اصوات اللين .

ان اعتماد العرب على جريان النفس وعدمه في الشديد والرخو سبب اختلاطا وتداخلا بينهما وبين المجهور والمهموس ، وجعل التمييز بينهما تبعا لذلك عسيرا صعبا اول وهلة ، ومع ذلك فأشار العرب الى امر الجريان وعدمه مسألة وافقت موافقة كاملة راي فريق من علماء الغرب ككانتينو مثلا (أنظر ص ٣٥ منه) الذي اثبت استقراؤهم عد الشديد من الاصوات الآنية occlusives التي لا يمكن ترديدها لانتهائها بانتهاء العائق الحادث من التقاء عضوي النطق ، عكس الاصوات الرخوة التي يستمر فيها الترديد لانها من الاصوات المتواصلة spiranlisme .

ويبدو ان انتباههم الى الآنية والتواصل ـ بعيدا عن التعريف ـ هو الذي ساعدهم في تمييز الاصوات الشديدة والرخوة ، فلم نجد بينهم وبين المحدثين فيها ـ كبير خلاف .

فالضاد الذي عدوه رخوا ، ودل بحث المحدثين كونه شديدا ، استعصى نطقه مع قدماء العرب انفسهم، وليس لفظه الحاضر مشبها لفظه العتيق كما قال بحق برغشتراسر « التطور النحوي ١٠ » .

كما ان العين التي عدوها متوسطة ، رخوة في نطقنا الحالي ، ما يزال في النفس من خواصها الشيء الذي نجهل .

الاصوات الصامتة وأصوات اللين :

قسم المحدثون الاصوات قسمين رئيسين :

قسم دعوه بالاصوات الصامتة (أو الساكنة او المصوت) Consonants وآخر سموه اصوات اللين (أو المد او الصلة او الصائتة) Vowels .

واساس هذا التقسيم معتمد عندهم على طبيعة الحوائل التي يصادفها كل منهم ، وقد تبينا ذلك في بداية هذا الفصل .

وتشمل الاصوات الصامتة جل اصوات العربية عدا الالف في نحو (طال) والواو في (يرجو)(*) والياء في (الهادي) . التي تسمى اصوات لين طويلة ، الى جانبها الفتحة والضمة والكسرة وتدعى اصوات المد القصيرة (والحركات) .

وتكون الاصوات الصامتة مجهورة او مهموسة ، في حين ان اصوات اللين لاتكون الا مجهورة في الراجح(**) ولكون الاخيرة اصواتا انطلاقية ولكثرة شيوعها ووضوح الخطأ في نطقها ، اهتم المحدثون بها بوضع ضوابط لها ومقاييس يستطيع الدارس العودة اليها لتجنبه الخطأ بها

وتعد محاولة دانيال جونز D. Jones من تلك المحاولات الهادفة لوضع تلك (الضوابط) بأعتماد ملاحظة وضع الشفتين من حيث الاستدارة والانفراج واللسان (او جزؤه المحدد الذي يحدث فيه صوت اللين) من اتخاذهما اوضاع الارتفاع والانخفاض .

وقد عد اللسان ومراتب قربه واستوائه في قاع الفم، ووضعه بالنسبة للحنك مدعاة واستقراء حالات ثمان ،اخذت الصفة الدولية في الكتابة الصوتية والترتيب وطريقة الكتابة ، كما اختار المحدثون كلمات عدة شائعة في الفرنسية والالمانية ، اشتمل كل منها على احد تلك الضوابط التي المعنا ذكرها بأيجاز(*) .

ولا ننتظر من العلماء العرب معرفة التفاصيل التي اشرنا اليها ، اذ يكفي الالماع الى معرفتهم بالتقسيم الذي عرفه المحدثون فيما سمي بالاصوات الصحيحة والمعتلة او الصوامت و (الحروف اللينة المصوتة) فعد معظمهم اصوات العربية عدا الالف والياء والباء من الصنف الاول وعدّوا الاخرى اصواتا مدّ ولين .

وانما قلت : معظمهم لأني الغيت الخليل بن احمد الفراهيدي عدّ « الهمزة » فيما سمّاه بالاصوات الهاوية التي تقابل اصوات اللين ، ومع ايمانه ان الهمزة مخرجها من اقصى الحلق (العين ٥٢/١) الا انه اثر عدّها آخر اصوات هجائيته الصوتية لانها على وفق رايه « مهتوتة مضغوطة .. فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان انما هي هاوية في الهواء » .

وقدتبينا أن سيبويه أعادها الى مكانها في اقصى الحلق ، وهيعند المحدثين صوت حنجري صامت وليس بصوت لين كما ذهب الى ذلك الخليل .

ولم يكتف العلماء العرب بهذا التقسيم ، وانما درسوا كل مايتعلق باصوات اللين من حيث طبيعتها ومراتبها وصلة الحركات باصوات الواو والياء والألف واهتم الصرفيون بمسائل الابدال ، وما سمي عندهم بالاعلال بالنقل الحاصل عن نقل حركة احد اصوات (الواو أو الياء) الى الصامت غير المتحرك قبله . كما عالج النحاة العرب وأهل التجويد موضوعات الامالة والاشمام والروم وما الى ذلك - وكلها يعالج هذا الجانب - وتوصلوا من خلالها الى نتائج حسنة سيأتي بيان المهم بعد حين .

وبالمستطاع اكتناه راي العلماء العرب في الحركات في قول الخليل الذي رأى « أن الفتحة والكسرة والضمة

وزائد ، وهن يلحقن الحرف ليوصل الى التكلم بـه » « الكتاب ٤/٢٤١ »

ومعنى ((**زوائد**)) الاشارة الى كونها رموزاً اضافية تلحق أواخر الكلم ، وقد دعاهم الى هذا الظن طريقة الكتابة العربية والسامية باعتمادها على الصوامت في تأليف صور مختلفة من (الجذر) الواحد ، أما الحركة فقد كانت عندهم أمراً ثانوياً يلجأ الكاتب اليه عند اقتضاء الضرورة .

ونبع من الاعتقاد كون الحركات رموزاً اضافية (ثانوية) ، جدل حول موضع الحركة ، واين تكون في المرتبة قبله أو معه ، أو بعده ، وقد خلص سيبويه (الكتاب ٤/٣٤٥) وابن جني (الخصائص ٢/٣٢١ وسر الصناعة ١\٣٢) كونها بعده ، وهو الصواب .

كما ذهب ابن جني الى عد (الحركات أبعاض حروف المد واللين ، وهي الألف والياء والواو ، فكما ان هذه الحروف ثلاثة ، فكذلك الحركات ثلاث ، وهي الفتحة والكسرة والضمة ، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء ، والضمة بعض الواو » . سر الصناعة ١/١٩ .

وفي النص اشارة نافعة لراى يؤيده المحدثون ، فالفرق بين الفتحة وبين الف المد ليس غير اختلاف في

كمية الصوت ، والف المد ليست الافتحة طويلة ، وكذلك ياء المد ليست في الحقيقة غير كسرة طويلة ، وما واو المد إلاّ ضمّة طويله «. انظر مثلا الاصوات اللغوية ٣٨» .

ويبدو انهم توصلوا الى كون الحركات اجزاء من (الحروف) عن طريق دراسة (الاشباع) الذي دعاه ابن جني (مطل الحركات) وملاحظتهم ان الضمة متى اشبعت صارت واواً ، والفتحة متى أشبعت صارت ألفاً ، والكسرة تصير ياء عند الاشباع . قال ابن جني (في سر الصناعة ١/٢٠) :

« ويدلك على ان الحركات أبعاض لهذه الحروف ، أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه »

وقد قادهم الاستقراء الى بيان مراتب الحركات في القوة والضعف فالفتحة في رأى سيبويه (الكتاب ٤/١٦٧ و ١٨٨) أخف من الضمة والكسرة ، كما أن الكسرة أخف من الضمة (نفسه ٤/٣٧) .

وانما وصف سيبويه الفتحة بالخفة لاستشعاره اتخاذ اللسان حالة الانخفاض التام في قاع الفم عند النطق بها ، ولذلك عدّت من اصوات اللين المتسعة open vowels في حين يتخذ اللسان عند النطق بالضمة والكسرة ارتفاعاً يبلغ ثلث المسافة من الحركات السابقة ،

ولذلك سمّاهما المحدثون اصوات اللين نصف الضيقة half - close vowels ولا شك ان الجهد المبذول في الاولى أقل من الثانية .

ولم يكتف علماء العربية بالاشارة الى الحركات وما اتصل بها بل أشاروا الى بعض الحركات القصيرة للغاية ، التي نجدها في مباحث : الروم والاشمام والاختلاس عند النحاة والمقرئين .

فالاشمام : ضم الشفتين بعد تسكين الصوت الاخير في الوقف على المضموم وهو للعين دون الأذن (الخصائص ٢/٣٢٨ واسرار العربية ٤١١) . كما ان الروم : الاشارة للحركة بصوت ضعيف .

وكأني بهم استشعروا ان هذه الاختلافات الصوتية والمختلسة لها دخل في تمييز الصفة الوظيفية لكل منها .

الصفات الخاصة :

ه الذلاقة والاصمات :

وهذا تقسيم تفرد به العلماء العرب ولا يعرفه المحدثون ، أما الذلاقة في الاصوات فاسم يندرج تحته نوعان من الاصوات :

الأول : شفوي مخرجه الشفة لاصوات : الفاء والميم والباء

والآخر : ذلقي (وذلق اللسان طرفه المستدق) ويشمل اصوات الراء والنون واللام . « انظر في ذلك الجمهرة ١\٧ » .

وقد سمي النوعان بالاصوات الذلقية او الذولقية – على جهة التغليب – وجعلوا الاصمات اسماً لباقي اصوات العربية ، وانما عدّوها مصمتة لانها على راي شهاب القسطلاني (٩٢٣هـ) (في لطائف الاشارات ١٩٩/١) : « أصمتت اي منعت أن تختص ببناء كلمة في لغة العرب ، اذا كثرت حروفها ، لاعتياصها على اللسان، فهي حروف لا تنفرد بنفسها في كلمة أكثر من ثلاثة احرف حتى يكون معها غيرها من الحروف المذلقة » .

وكان الفراهيدي السابق في وضع ضوابط الذلاقة والاصمات في الاصوات ، وتعتمد نظريته على أن اية « كلمة رباعية أو خماسية معراة من أصوات الذلاقة ، فلابد أن تكون مبتدعة أو مخترعة » تنظر مقدمة العين ..

ولانكران في ان رابطة وشيجة تربط اصوات : الراء والنون واللام (والميم) في شدة وضوحها السمعي، وكونها اصواتاً مائعة Liquids وهي خاصة توسط بين الشدة والرخاوة .

ولابد ان العلماء العرب لاحظوا بعض هذه الخصائص من خلال ملاحظتهم شيوع هذه الاصوات في كلام العرب ، وخلصوا الى ماخلصوا اليه فيها .

فقد ايدت المباحث التطبيقية التي اجراها الدكتور ابراهيم انيس (انظر الاصوات اللغوية ١٠٣ واللهجات العربية في التراث العربي ٢٤٢) شيوع اللام نحو ١٢٧ مرة في كل الف من الاصوات الصامتة في العربية ، وان نسبة الميم ١٢٤ مرة في كل الف مرة منها ، وان نسبة النون بلغت ١١٢ مرة كذلك .

كما لوحظ اتفاق في عدد الميمات والنونات في السور العشر الأولى من القرآن الكريم اذ يزيد كل منهما عن عشرة آلاف « الصوت اللغوي ٢٤٢ » وافصح الحاسب الالكتروني (الكمبيوتر) المستخدم في احصاء جذور (الصحاح) للجوهري (٣٩٨هـ) المشتمل على ٥٦٣٩ جذراً عن شيوع صوت الراء في الجذور الثلاثية ١٠٠٣ مرات ، يليه صوت الميم والنون واللام بتردد مقارب(*) .

ومع ايماننا بصدق القول بابتداع امثال : دغسق وضفنج وعقجش غير العربية (انظر المعرب ١٢) واشباهها مثلا الخالية من احد اصوات الذلاقة ، فلا يصدق على (العسجد) وامثالها اذ لايمكن عدّها (مبتدعة أو مخترعة) ، ومهما حاول ابن دريد (٣٢١هـ) اقناعنا انها عربية لان « السين لينة جرسها من جوهر الغنة » الجمهرة ١١\١ ، أو قول ابن جني (في سر الصناعة ٧٥/١) الذي ذهب الى ان « نصاعة العين (فيها) ولذاذة مستمعها كان كافياً لقبولها مع انها تخلو من أحد اصوات الذلاقة »

الاطبـــاق :

الاطباق عند المحدثين صفة مـــن صفات الصاد والضاد والطاء والظاء والراء واللام والقاف ويعنون به اتخاذ اللسان شكلا مقعراً عند النطق بهذه الاصوات .

وقد عرف علماء العربية هذه الصفة ، وقسموا الاصوات الى مطبقة ومنفتحة ، وعدّوا الاصوات الاربعة : الصاد والضاد والطاء والظاء اصواتاً مطبقـــة ، وعدوا سواها منفتحة .

قال سيبويه (الكتاب ٤\٤٣٦) :

« وهذه الحروف الاربعة اذا وضعت لسانك من مواضعهن الى ما حاذى الحنك الاعلى من اللسان ترفعه الى الحنك ، فاذا وضعت لسانك **فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك الى موضع الحروف** » ..

وما الحصر الا التقعر الحاصل من اتخاذ اللسان ذلك الشكل وما يصحبه من حبس الهواء القادم مـــن الرئتين .

على ان الرعيل الاول من علماء العربية اغفل بيان الصلة بين الاطباق وبين التفخيم ، لان اللسان فيهما يتخذ شكلا واحداً هو « التقعر » الذي المعنا اليه .

قلت : الرعيل الاول لاني الفيت مكي بن ابي طالب (٤٣٧هـ) وابن الجزري (٨٣٣هـ) عرفا هذه الحقيقة في

كتابيهما : الرعاية (٩٨) والنشر (١\٢٠٣) ومع ذلك فاننا نفتقد اشارة الى عدّ الراء واللام والقاف ضمن مباحثهما ـ هما وسواهما من العلماء العرب ـ مع معالجتهم احكام الراء (المغلظة) واللام (المغلّظة) باعتبارهما من اصوات الاطباق لانهما مفخمين أيضاً .

كما لم ينتبهوا الى القيمة التفخيمية الجزئية لصوت القاف (انظر مناهج البحث في اللغة ٩٦) ولعل مرد ذلك آت من عدم وجود صوت مرقق له عندهم . (ينظر الصوت اللغوي ٢٩٥) .

التفشي :

التفشي صفة خاصة بصوت الشين ومجهورها ، الذي يظهر فيه انتشار اللسان على الحنك ، فيتكون في وسطه شيء كالقناه يتسرب النفس منها ، ولا يقتصر تسربه على المخرج بل يتوزع في جنبات الفم ، وقد اقر مجمع اللغة العربية بالقاهرة تسميته بـ husing sounds

لقد عرف البحث الصوتي عند العرب هذه الظاهرة، فهذا ابن دريد مثلا يقول في مقدمة الجمهرة (١\٥٤) في معرض حديثه عن بعض الاصوات :

« .....، الا انها دخلت على الشين **لتفشي الشين** ، وقربها من عكدة اللسان ، بل هي مجاوزة للعكدة الى الفم » .

وفسر العكدة في جمهرته : بأنها اصل اللسان ، وانما قال ذلك لقرب مخرج الشين من مخرج الجيم والياء ، لأن هذه الأصوات عنده وعند سيبويه : « من وسط اللسان بينه وبين الحنك الأعلى » .

الاستعلاء والاستفال :

وهذا تقسيم آخر عرفه البحث الصوتي عند العرب للاصوات العربية تفرد به العلماء العرب ، واقره المحدثون منهم ، يهدف الى تقسيمها من حيث ارتفاع مؤخرة اللسان صوب الحنك الأعلى ، او انخفاضها عنه ، فالاصوات التي يتم معها ارتفاع مؤخرة اللسان سميت عندهم بالمستعلية وتشمل اصوات : الخاء والغين والقاف والضاد والقاف والطاء والصاد والظاء وما عداها دعي بالمستفلة والمنخفضة .

ومفهوم الاستعلاء عند ابن جني (سر الصناعة ١\٧١) :

التصعد في الحنك الأعلى ، وهو يريد ارتفاع مؤخرة اللسان فيها ، وقد تبين لنا ان اصوات الاستعلاء التي ذكرها العرب لاتخرج عن كونها : لهوية كالقاف ، أو طبقية : كالغين والخاء ، واسنانية لثوية : كالصاد والضاد والطاء والظاء وترتفع معها جميعاً مؤخرة اللسان صوب الحنك الاعلى ، كما اشار ابن جني وسواه .

كما ان بين اصوات الاستعلاء اربعة من اصوات الاطباق هي : الصاد والطاء والظاء والقاف ، يتخذ اللسان معهما الشكل المقعر ـ كما أشرنا من قبل ـ الى جانب ارتفاع مؤخرة اللسان .

ومع ذلك كله فاننا نفتقد صوتى : الراء واللام المفخمتين ، فان مؤخرة اللسان فيهما ترتفع ايضاً .

ولا يفوتني الاشارة الى اقرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة تسمية الصوت المستعلي
. Velarized Consonant

الصفيــــر :

الصفير صفة الصاد والزاي والسين ، وسميت عندهم كذلك « لأن صوتها كالصفير لأنها تخرج من بين الثنايا وطرف اللسان فينحصر الصوت هناك **ويصفر به »** شرح المفصل ١٠\١٣٠ .

وليس الصفير سوى حالة من حالات الصوت الرخو ، فكلا من اصوات : الصاد والزاي والسين من الاصوات الرخوة ، ومخرجها مخرج الأصوات الاسنانية اللثوية ، كما أن فيها الصفة التي يسميها المحدثون ب

القلقلــة :

وسمى الفراهيدي (اصوات القلقلة) : المحقورة (لسان العرب حرف الجيم) . وذهب الرضي (في شرح

الشافية ٣\٢٦٣) الى علة تسميتها بالقلقلة الى القـول : « لأنها يصحبها ضغط اللسان في مخرجها في الوقف مع شدة الصوت المتصعد من الصدر ، وهذا الضغط التام يمنع خروج ذلك الصوت ، فاذا اردت بيانها للمخاطب احتجت الى **قلقلة اللسان وتحريكه عن موضعـه** حتى يخرج صوتها فتسمع » .

وتشمل اصوات : القاف والجيم والطاء والدال والباء ، وتقسم القلقلة عند اهل التجويد الى قلقلة كبرى وهي الحاصلة في نهاية الكلم المنتهية بأحد تلك الاصوات. وقلقلة صغرى وهي الحاصلة عند وجودها احدها في وسطها .

وانما (قلقل) العرب الاصوات الخمسة باضافة صوت لين قصير عليها ، أو (صويت) كما سماه سيبويه (الكتاب ٤\١٧٤) حرصاً منهم على اظهار كل ما في هذه الاصوات من جهر ، فلا ينالها شيء من الهمس ، وقد تبينا ان البحث الصوتي الحديث يخالف العلماء العرب في عدّ صوتى القاف والطاء مجهورين ، وهما يسمعان مهموسين في وقتنا الحاضر .

الانحـراف :

الانحراف من الصفات المفردة ، وهو صفة اللام ، سمى منحرفاً لا نحراف اللسان معه . ذلك عليه جمهور

العرب وزاد الكوفيون الراء اليه ، فهما عندهم صوتا الانحراف (الهمع ٢\٢٣٠) .

واللام في البحث الصوتي الحديث صوت لثوي يتم نطقه باتصال طرف اللسان باللثة ، وارتفاع الطبق ، الذي يؤدي الى اغلاق المجرى الأنفي عن طريق اتصاله بالجدار الخلفي للحلق .

ومعنى الانحراف : خروج الهواء من احد جانبي اللسان أو كليهما معاً ، ولذلك يسمى عند المحدثين Lateral

التكـرار :

التكرر صفة الراء (وذلك اذا وقفت عليه رأيت اللسان يتعثر بما فيه من التكرير) شرح المفصل ١٠\١٣٠

ويراد بالتكرير ملاحظة الضربات المتلاحقة التـي تصحب نطق الراء ، ولذلك يسميه المحدثون Rolled .

الهـاوي :

صفة الألف قال سيبويه فيه : « وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه ، أشد من اتساع مخرج الياء والواو لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك ، وهي الألف » .

وعدّ الخليل هذه الاصوات هوائيـة وجوفيـة

لخروجها من الجوف فلا تقع في مدرجه من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق .

وانما سمى العرب الألف هاوياً كونه أعلى مراتب الانطلاق في اصوات اللين .

الصوت المهتوت :

المهتوت صفة الهمزة ، والهت في اللغة : عصر الصوت . وأقدم من اصطلح عليه الخليل ، وعده ابن جني – في سر الصناعة – صفة الهاء التي تصحفت في شرح المفصل ١٠\١٣١ الى التاء !

الاستطالة :

الاستطالة صفة الضاد ، وسموه بذلك (**لامتداده من اول حافة اللسان حتى اتصل بمخرج اللام ، لما فيه من القوة والجهر والاطباق والاستعلاء حتى استطال مخرجه**) لطائف الاشارات ١/٢٠٢ .

ويريدون بالاستطالة جانبية صوت الضاد .

وبعد:

فقد الممنا بصفات الاصوات العربية العام منها والخاص ، وقد تبين لنا فيما اوردناه وفرة ماقدمه البحث الصوتي عند العرب ، وان ماقدموه فيها لايختلف كثيراً عما عرفه البحث الحديث في علم الصوت مع اختلاف الوسائل .

النبر والتنغيم

النبر stress عند المحدثين : علـو في بعض مقاطع الكلمة (بالقياس الى المقاطع الاخرى) يكون مصحوبا احيانا بأرتفاع في درجة الصوت Pitch . وينتج هذا العلو من زيادة اندفاع الهواء الخارج من الرئتين حين يشتد تقلص عضلات القفص الصدري .

اما ارتفاع درجة الصوت ، فتنتـــج من ازدياد النشاط العضلي في الحنجرة عند نطق المقطع المنبور . « دراسات في علم اصوات العربية ١٠٤ » .

والمقصود بالمقطع المنبور (أو الصوت المنبور) ذلك المقطع (أو الصوت) الذي يلقى وضوحا سمعيا اذا قورن بغيره من المقاطع ، أو الاصوات المجاورة في الكلمـــة أو الكلام .

وللنبر انواع هي(*) :

١ ـ النبر الرئيس Primary stress

٢ ـ النبر الثانوي Secondry stress

٣ ـ النبر الضعيف Weaks stress

وتختلف اللغات في استخدام النبر ، فثمة لغات نبرية ، واخرى غير نبرية . أما اللغات النبرية فيكون موضـــع

النبر فيها حرا ، وعند ذاك يستخدم لتمييز بين المعاني ، أو الصيغ عن طريق تغيير مكانه .

كالملاحظ في الانكليزية عند النطق بكلمة subject مثلا ، فاذا نبرنا المقطع الاول صار اسما ، واذا نبرنا المقطع الثاني صار فعلا .

أما اللغات غير النبرية فيخضع النبر فيها لقواعد لا تحيد عنها كالفرنسية التي يقع النبر في مقاطعها الاخيرة بشكل عام .

ولغتنا العربية الفصيحة من هذا النوع ايضا ، لان النبر يسمع . في مقاطع كلماتها ، بحسب نوع المقطع من حيث طوله أو توسطه أو قصره ، وليس هذا موضع تفصيله وبيانه .

أما التنغيم intonation فهو تغييرات تنتاب صوت المتكلم من صعود الى هبوط ، ومن هبوط الى صعود ، لبيان مشاعر الفرح والغضب ، والنفي والاثبات والتهكم والاستهزاء والاستغراب ..

وتسمى النغمة (صاعدة) Rising tone اذا تم صعودها من اسفل الى اعلى على المقطع الذي وقع عليه النبر .

والنغمة هابطة Falling tone اذا تم نزولها من أعلى الى اسفل ، على آخر مقطع وقع عليه النبر .

من اجل ذلك كانت علاقة التنغيم بالنبر وثيقة ، لانه لا يحدث (تنغيم) دون (نبر) للمقطع الاخير من الجملة التي تقع ضمنها الكلمة .

اجد لزاما علي قبل الشروع في معالجة (معارف) العرب في هذا السبيل ، ان اشير الى بعض آراء الباحثين المحدثين ، ممن عالجوا مسألة (النبر) في العربية ، واسوق من ثمة محصلة البحث الصوتي فيه .

يعتقد **هنري فليش** (العربية الفصحى ٤٩) : أنّ نبر الكلمة كان مجهولا تماما لدى اللغويين العرب ، لانه لم يجد له اسما بين مصطلحاتهم .

ويظن **برغشتراسر** (في التطور النحوي للغة العربية ٤٦) : « انه لا نص نستند عليه في اجابة مسألة كيف حال العربية في هذا الشأن ـ يعني النبر ـ ومما يتضح من اللغة نفسها ، ومن وزن شعرها ان الضغط لم يوجد فيها ، او لم يكد يوجد ، وذلك ان اللغة الضاغطة ، يكثر فيهاحذف الحركات غيرالمضغوطة، وتقصيرها وتضعيفها، ومد الحركات المضغوطة وقد راينا **أن كل ذلك نادر في اللغة العربيــة** » .

واذا اعتقد برغشتراسر بندرة (النبر) في العربية ، فأن . **كارل بروكلمان** يؤيد وجود نوع من النبر فيالعربية القديمة ، تغلب عليه الموسيقية ، ويتوقف على كميــة المقطع ، يسير من مؤخرة الكلمة نحو مقدمتها ، حتــى

تقابل مقطعا طويلا ، يقف عنده ، فاذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل ، فأن النبر يقع على المقطع الاول » « انظر فقه اللغات السامية ٤٥ » .

اما انكار معرفة اللغويين العرب للنبر بأدعاء جهلهم لمصطلحه ـ على رأي فليش ـ فأنه مردود بعدهم الهمز والنبر شيئا واحدا ، دالاً على الضغط . وهو مؤدى توضيح ابن منظور (٧١١ هـ) صاحب (لسان العرب) لمعنى الهمز بأنه : « الغمز والضغط ومنه الهمز من الكلام لانه يضغط » .

وفسر (النبر) بكونه : ارتفاع الصوت ، يقال : نبر الرجل نبرة اذا تكلم بكلمة فيها علو » اهـ . لذلك عد كل منهما سرادقا للاخر .

ولكون النبر يعني الضغط على المقاطع من جراء الجهد العضلي الذي يبذله المرء عند النطق بالمقطع المنبور ، والهمز في حقيقته (ضغط) استشعره العرب من خلال glottal stop الحادثة من التقاء الوترين الصوتيين التقاء حادا عند النطق بالهمزة ، صح عدهما مرادفين .

ولا مجال لتصديق برغشترا سر في أن العربية لم تكن تعرف النبر في مقاطع كلامها ، وبين ايدينا نص لابن جني ـ من اسف انه يتيم ليس ثمة غيره مع طول البحث والتنقير ـ شاهد على وجوده فيها ؛ وبالتالي معرفة

العلماء العرب له في جوانب أخر سيأتي بيانها .

اما نص ابن جني فها نحن أولاء نذكره بتمامه :
(الخصائص ٢/٣٧٠ - ٣٧١) « وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها . وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم : سير عليه ليل ، وهم يريدون : ليل طويل :

وكأنَّ هذا انما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها . وذلك انك تحس في كلام القائل لذلك من **التطويــح والتطريــح والتفخيم والتعظيم** ما يقوم مقام قوله : طويل او نحو ذلك .

وانت تحس هذا من نفسك اذا تأملته . وذلك ان تكون في مدح انسان ، والثناء عليه فتقول : **كان والله رجلا !** فتزيد في **قوة اللفظ ب (الله)** هــذه الكلمــة ، وتتمكن في **تمطيط اللام واطالة الصوت بها** وعليها ، اي رجلا فاضلا او كريما او نحو ذلك .

وكذلك تقول : سألناه فوجدناه **انسانا ! وتمكن الصوت بأنسان وتفخمه ، فتستغنى** بذلك عن وصفــه بقولك : انسانا سمحا أو جوادا او نحو ذلك .

وكذلك ان **ذممته** ووصفته بالضيق فقلت : سألناه وكان **انسانا ! وتزوي وجهك وتقطبه** ، فيغني ذلك عن قولك : انســـانا لئيمــا او لحزا(*) او مبخـــلا او نحو ذلك(**) .

ويمكننا من تحليل النص ، الافادة من مسائل كثيرة منها : اشارته لقضية (الحذف) في الكلام ، لقرينة حالية ، تستدعيها ظروف الكلام ومقامه ، وهو ما يعرف بسياق الحال Contex situation

(أنظر د . الراجحي فقه الله في الكتب العربية ١٦٧ و (العراق : علم اللغة ٣٨٨) الذي يشير الى ظاهرة (التنغيم) بشكل جلي .

اما اشارات ابن جني لما سماه **بالتطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم** او قوله : **وتتمكن من تمطيط اللام واطالة الصوت بها وعليها .. وتمكن الصوت بأنسان وتفخمه فتستغني بذلك عن وصفه »** فدلالة بارعة مدركة لظاهرتي النبر والتنغيم ، وان لم يصرح بأسميهما .

والتطريح فيها من « **طرح الشيء اذا طوله ورفعه الذهاب بالشيء من هنا وهناك .**

والتطريح فيها من « **طرح الشيئ اذا طوله ورفعه واعلاه** » وما التفخيم الا ظاهرة صوتية تحدث من حركات عضوية تغير من شكل الفراغات بالقدر الذي يعطي الصوت هذه القيمة الصوتية المفخمة كما قال بحق الدكتور تمام حسان (مناهج البحث في اللغة ٩٠) .

وتشير الفاظ التطويح والتطريح والتفخيم من خلال معانيها اللغوية الى رفع الصوت وانخفاضه ، والذهاب به

كل مذهب ، وهي على هذا ـ اشارة الى (النبر) ، وليس النبر ـ كما سبق بيانه ـ غير عملية عضوية يقصد منها ارتفاع الصوت المنبور وانخفاضه .

كما أن تمطيط اللام وزوي الوجه وتقطيبه مظهر من المظاهر التي تستدعيها ظاهرة التنغيم .

واذا لم يكن هذا كافيا ـ وما أحسبه كذلك ـ فان معالجة اللغويين العرب لموضوع ما سماه سيبويه بالاشباع (الكتاب ٢٠٢/٤) ودعاه ابن جني (مطل الحركات) (الخصائص ١٢٣/٣ ، ١٢٩) فهم واستيعاب لمسألة الضغط على حركات الكلمة لتطول كميتها الصوتية ، فتصبح الكسرة ياء ، والضمة واوا ، والفتحة الفا كما لاحظ الدكتور رمضان عبدالتواب في (المدخل الى علم اللغة ١٠٨) . كما أن ايثارهم الاعراب على المجاورة ـ كما وجد الدكتور تمام حسان في اللغة العربية ٢٣٤ ـ لا يخرج عن كونه داعيا موسيقيا اقتضى المناسبة بين المتجاورين ، فأغنت عندهم قرينة التبعية ـ وهي معنوية ـ عن قرينة المطابقة في العلامة الاعرابية ، وهي علاقة لفظية . ولا شك انها مظهر من مظاهر التنغيم في العربية .

قوانين علم الصوت

تنتاب اللغة طائفة من التغيرات الصوتية ، يؤثر المشتغلون بعلم اللغة الحديث تسميتها **بالقوانين** مثل

قانون **غريم** Grimm المتعلق بالابدال المباشر في الصوامت الجرمانية (فندريس ٧١) .

او قانون **هويتني** Whiteney الذي قرر فيه ان كل ما نكتشفه من تطور في اللغة ليس الا أمثلة في توفير المجهود الذي يبذل في النطق (اللغة والتطور ٣٢) وهو ما عرف بقانون السهولة واليسر .

والقانون الصوتي كما عبر **مييه** (علم اللسان ١٠٥) علاقة بين حالتين متتابعتين للغة واحدة في وسط اجتماعي معين ، فهو ليس قانونا عاما شبيها بقوانين علم الطبيعيات أو علم الكيمياء .

كما يختلف اختلافا جذريا عن القوانين التي يسنها المجتمع للهيمنة على أفعال البشر ، لان غاية مشرعي قانون العقوبات مثلا انزال العقاب الصارم بالجناة للحد من ظواهر تجاوزهم على الاخرين ، والقانون المدني لتحديد مناحي سلوك ابناء المجتمع ، وصلاتهم بالاخرين .

ثمة حالتان أساسيتان في التغيرات الصوتية :

حالة متعلقة بأستبدال صوت بأخر في لغة بعينها ، وتسمى هذه الحالة التغيرات التركيبية ، والاخرى تحصل عن طريق التحول في النظام الصوتي من جراء تعاقب الاجيال في تعاملهم مع اللغة وتسمى التغيرات التأريخية .

وسيكون حديثنا متوجها الى معالجة التغيرات التركيبية لشديد صلتها بالبحث الصوتي عند العرب ، ولان علماء العربية عالجوا الكثير من المسائل التي تدخل ضمنها ، كقانوني المماثلة Assimilation والمخالفة dissimilation

قانون المماثلة :

يعالج قانون المماثلة Assimilation تأثر الاصوات المتجاورة في الكلمات والجمل ، وميلها الى الاتفاق في المخارج والصفات نزوعا الى الانسجام الصوتي ، واقتصادا في الجهد الذي يبذله المتكلم .

فالمعروف ان أصوات اللغة تختلف فيما بينها في المخارج ، والشدة والرخاوة ، والجهر والهمس ، والتفخيم والترقيق وما الى ذلك . فاذا التقى في الكلام صوتان من مخرج واحد ، أو من مخرجين متقاربين ، وكان أحدهما مجهورا ، والاخر مهموسا مثلا ، حدث بينهما شد وجذب ، وحاول كل منهما جذب صاحبه اليه . بتماثله معه في صفاته كلها او في بعضها (انظر التطور اللغوي ٢٢) .

وكما يحصل هذا الانسجام بين صامت واخر مثله، فانه حاصل بين حركة واختها ، او بين صوت صامت وبين حركة .

وعرف **دانيال جونز** D. Joenes لمماثلة انها « عملية استبدال صوت بآخر تحت تأثير صوت ثالث قريب منه في الكلمة او في الجملة »(*٠) .

وذكر ان المماثلة قد تتسع لتشمل الحالات التي يتم **فيها** فناء احد الصوتين في الاخر ، بحيث يؤلفان صوتا واحدا ، وسمي هذا النوع Coalescent Assimilation الذي يقابل **الادغام** .

وقد قسم المحدثون المماثلة نوعين :

المقبل) أو التأثر التقدمي (Progressive
ويعني تأثر الصوت الثاني بالاول .

والمدبر (أو التأثر الرجوعي) Regressive
ويعني تأثر الصوت الاول بالثاني .

واشار **بوغشتراسر** في (التطور النحوي ١٨) الى نوع ثالث سماه **(المتبادل)** وساق له مثلا في نحـــو (ذكر) عند نقله الى صيغــة افتعل يصبح (ادّكر) ، ويمكن ادخاله ضمن النوع الاول (المقبل) لان الصوت الثاني يتأثر بالاول .

لقد عرف البحث الصوتي عنـــد العرب قانون المماثلة ، وسمي فيه مسميات ، فاتخذ اسمي : المضارعة والتقريب عند سيبويه ، وتجانس الصوت وتشاكله عند ابن يعيش (شرح المفصل ٣١٨/١٠) ، والمناسبة عند ابن الحاجب (شرح الشافية ٤/٣) .

وللتمكن من تبيان حالات المماثلة فسنعالجها على وفق منهج المحدثين ، مستعرضين من خلالها (معارف) العلماء العرب فيها :

أ ـ الجهر والهمس :

درس علماء العربية مظاهر هذه الحالة من المماثلة عند معالجتهم صيغة (افتعل) من الافعال المبدوءة بالزاي من أمثال : زان وزجر وزار التي تصبح: ازتان وازتجر وازتار ثم تتحول عن طريق قانون المماثلة : ازدان وازدجر وازدار . فما علة ذلك في البحث الصوتي عند العرب وما موقعه في الدرس الصوتي الحديث ؟ .

قال ابن عصفور في (الممتع ٣٥٦/١) : « والسبب في ذلك ان الزاي مجهورة ، والتاء مهموسة ، والتاء شديدة والزاي رخوة . فتباعد ما بين الزاي والتاء ، **فقربوا أحد الحرفين من الاخر ليقرب النطق بهما ،** فابدلوا الدال من التاء لانها أخت التاء في المخرج والشدة واخت الزاي في الجهر » .

وهذا فهم داع لهذا الضرب من التماثل ، فعندما تجاور صوتان احدهما ـ وهو الزاي المجهور والتاء المهموس في (ازتان ـ ازتجر ـ ازتار) تجاورا تاما ؛ فأن الصوتين تجاذبا النزاع ، ومالا الى توفير نوع من الانسجام بينهما ، وهنا تأثرت التاء المهموسة بالزاي

المجهورة فجهر بها ، وعند جهر التاء تتحـول دالا لان كلا من التاء والدال من مخرج واحد هو (الاصـوات الاسنانية اللثوية) ، واضحى كل من الـدال والزاي متقاربا في صفة الجهر .

اما نوع التماثل فمقبل (أو تقدمي) لتاثر الصوت الثاني (التاء) بالاول (الزاي) .

ب ـ الشدة والرخاوة :

وتستطيع بيانه في معالجة (ست) التي أصلها : سدسي ، فلما تحولت السين في (سدس) الى التـاء صارت (سدت) ثم (فني) صوت السين الرخو عنـد مجاورة الدال وهو صوت شديد ، وقلب الى نظـيره الشديد وهو التاء . اما نوع التماثل فمدبر (او رجوعي).

قال ابن جني (الخصائص ١٤٣/٢) : ومن ذلك قولهم :

ست اصلها سدس ، **فقربوا السـين من الدال بأن قلبوها** تاء ، فصارت سدت **فهذا تقريب لغير ادغام ،** ثم انهم فيما بعد ابدلوا الدال تاء **لقربها منهـا** ارادة للادغام الان فقالوا : ست » . « وانظر اسرار العربية ٢٨؛ » .

ج ـ الاطباق والانفتاح :

وعالجوهما ضمن الافعال المبدوءة بأحد اصوات

الاطباق عندهم : وهي الصاد والضاد والطاء والظاء المنقولة الى صيغة افتعل، وتحول التاء فيها (وهو صوت منفتح) الى نظيره الطاء (المطبق) تحت تأثير مجاورته لاحد الاصوات المطبقة المذكورة ، أما نوع المماثلة فمقبل لتأثر الثاني بالاول .

مثال ذلك : صبر وضرب وطلب وظلم التي تتحول الى : اصتبر واطتلب واظتلم – في صيغة (افتعل) – ثم تصير بالمماثلة : اصطبر واضطرب واظلم .

قال الرضي في سبب ذلك (شرح الشافية ٢٨٧/٣): « قلب التاء الى حرف يكون أقرب الى فاء الكلمة من التاء **فتقربها الى حروف الاطباق الثلاثة** اي الصاد والضاد والظاء المعجمة ، بأن تجعل في التاء اطباقا فتصير طاء ، لان الطاء هو التاء بالاطباق » .

كما عالجوا ما قالته العرب في : سقت والسوق وسبقت وسقر على الترتيب : صقت والصوق وصبقت وصقر ، لوقوع السين قبل الصوت المستعلي فينقلب الى نظيره المطبق (انظر الخصائص ١٤٢/٢) .

د – انتقال مجرى الصوت :

ويكون على نوعين :

الاول : ويحدث عن طريق تحول صوت انفي كالنون الى نظيره الانفي الميم .

والاخر : ويحدث عن طريق تحول احد اصوات الفم تحت وطأة التماثل الى صوت انفي .

فمن النوع الاول ما سماه سيبويه الادغام في الميم (الكتاب ٤٤٧/٤) في نحو قولهم : اصحمطرا يريد : اصحب مطرا .

وعلل سيبويه ذلك في موضع اخر من كتابه ٤٦١/٤ بقوله : انما ذلك لاستعانة الميم بصوت الخياشيم . فضارعت النون . ولو أمسكت بأنفك لرايتها بمنزلة ما قبلهـــا » .

ومن النوع الثاني : ملاحظة سيبوية (الكتاب ٤٥٣/٤) قولهم : « محبك يريدون : مَن بك وشمباء وعمير يريدون : شنباء وعنبرا » .

قال : ولم يجعلوا النون باء لبعدها في المخرج ، وانها ليست فيها غنة . ولكنهم ابدلوا من مكانها اشبه الحروف بالنون ، وهي الميم » .

هـ ـ الانسجام الصوتي :

الانسجام الصوتي vowel - harmony
ظاهرة صوتية ، تحدث في مقاطع الكلمة الواحـدة . والمقاطع المتجاورة ، نزوعا الى التوافق الحركـــي . واقتصادا في الجهد المبذول « وليكون العمل من وجـه واحد » كما قال الخليل (الكتاب ٢٧٨/٣) أو لـ « تقريب

صوت من صوت » كما ذهب الى ذلك ابن جني (الخصائص ١٤٢/٢) .

والانسجام الصوتي ظاهرة من ظواهر التطور في حركات الكلمات . فالكلمة المشتملة على حركات متباينة تميل في تطورها الى التوافق والانسجام بين هذه الحركات ، لئلا ينتقل اللسان من ضم الى كسر الى فتح فيما توالى من الحركات . (انظر في اللهجات العربية ٩٦) .

وهو على هذا من مظاهر التماثل الحركي ، الذي تعرفه لغات العالم ـ ومنها العربية ـ وتعد اللغة التركية من اهم اللغات التي تشمل قدرا أكبر(*) من سواها في هذا الضرب من التماثل .

لقد اشرت قبل حين الى ان العربية من اللغات التي عرفت الانسجام الصوتي ، وأضيف ان حصوله فيها حدث لاعتماد العربي على السمع وحده ، لذلك لجأ الى ربط الالفاظ فيما اتصل منها في كلامه ربطا وثيقا أدى الى ظهور تلك الحركات التي وصلت بين الكلمات ، وسميت فيما بعد بحركات الاعراب (لزيادة الايضاح ينظر دلالة الالفاظ ٢٠٦) .

ومتى اقتصر أمر اللغة على السمع وعلى الانشاد ، فلابد لها ان تعنى بالانسجام الصوتي ، لانه ضرب من المماثلة الحركية ، او التقريب الصوتي لهذا كان من ولد

البحث الصوتي عند العرب دراسة الكثير من المباحث التي تدخل ضمن هذه الظاهرة كالامالة والادغام وسواهما مما سيأتي بيانه بعد حين .

والاتباع الحركي ضرب من المماثلة ــ كما مر بنا ــ وتعرف عند المحدثين بـ vowel assimilation ،

وسماه سيبويه بالاتباع ، وعنى به ميل الحركات الى التماثل ، وقد عالجه تحت باب « ما تكسر فيه الهاء التي هي علامة الاضمار » الكتاب ١٩٥/٤ حدد فيه المواضع التي كسرت فيها هاء الضمير في امثال : بـه ولديه ، قائلا : « فكما امالوا الالف في مواضع استخفافا، كذلك كسروا هذه الهاء .. » فقد ساوى بين امالة الالف لكسرة ما قبلها وما بعدها وبين هذه الهاء في نحو كلاب وعابد « وذلك قولك : مررت بهي قبل ، ولديهي مال ، ومررت بدار هي قبل » .

واشار الى قول اهل الحجاز : مررت بهو قبل ولديهو مال وقراءة « فخسفنا بهو وبدارهو الارض » سورة القصص ٨١/٢٨ ثم علل ذلك بالقول : ومن قال بدارهو الارض ، قال : عليهمو مال وبهمو ذلك » وقال بعضهم : عليهمو اتبع الياء وما اشبهها كما أمال الالف لما ذكرت » .

وفي ضوء الاتباع الحركي عالج سيبويه ما ورد في لهجة قوم من ربيعة في قولهم : منهم وقال : اتبعوها

الكسرة ، ولهجة ناس من بكر بن وائل في قولهم : من احلامكم وبكم بتوالي الكسرتين بعد الميم والكاف ، والباء والكاف ، وذهب الى قياس الكاف على الهاء في احلامهم وبهم لان كلا منهما علم الاضمار (الكتاب ١٩٧/٤) .

وعلى وفق المنهج نفسه فسر علماء العربية ما ورد من اتباع حركي في . امثال : مِنتِنِ (بأتباع الكسرة الكسرة) بدلا من منتن ، وانا اجؤك (بدلا من اجيئك) وانبؤك (بدلا من انبئك) والسُلُطان (باتباع الضمة الضمة) وهو منحدر (بأتباع الضمة الضمة) بدل (منحدِر) وهكذا . . . (انظر في ذلك الخصائص ١٤٣/٢)

الامالـــة :

حقيقة الامالة ـ وسماها الخليل **الاجناح** فيما روى سيبويه الكتاب ٢٧٨/٣ ـ « عدول بالالف عن استوائه وجنوح به الى الياء فيصير مخرجه بين مخرج الالف المفخمة وبين مخرج الياء » شرح المفصل ٥٤/٩ وهو المقصود بالامالة عند اطلاقه في كتب اللغة والقراءات ويقابلها الفتح . والفرق الصوتي بين الامالة والفتح ، ان الالف الممالة صوت لين نصف ضيق ، أما الالف غير الممالة ـ في حالة الفتح ـ فصوت لين نصف متسع .

على ان كتب اللغة والقراءات لم تكتف بمعالجة كون الامالة خاصة بجنوح الالف صوب الياء ، بل اشارت الى حالات ثلاث اخر هي :

١ ــ الالف الممالة نحو الضمة في امثال : الصلوة والزكوة .

٢ ــ الكسرة المشوبة بالضمة في امثال : قيل وبيع وغيض . مما بني للمجهول من الافعال ، ويعرف عند النحاة بالاشمام .

٣ ــ الضمة المشوبة بالكسرة في امثال بوع تلك حالات الامالة ، فاذا اضفنا اليها الوجه الاول الذي ذكرناه ، وهو عدول بالالف الى الياء الذي يسمى الامالة المحصنة ــ اصبحت اربعا ، واولى حالاتها هو الشائع ، والاخيرة قليلة الشيوع .

ولان الامالة من العادات الكلامية فقد اهتم النحاة بالاشارة الى القبائل المميلة عند العرب ، واهتم اهل القراءات بالاشارة الى المميلين من القراء .

وعامة اهل نجد من تميم واسدوقيس (شرح المفصل ٩/٥٤) واكثر اليمن يميلون ، لان الامالة غالبة في السنتهم في اكثر الكلام (همع الهوامع ٢/٢٠٤) .

ويختلف القراء في الامالة فغريق يميل وبعضهم يفتح ، وبالمستطاع القول ــ بشكل عام ــ ان قراء الكوفة اكثر ميلاً اليها من سواهم لقربهم من مواطن اقامة القبائل التي تجنح الى الامالة .

وقد اهتم الدرس النحوي بما يمتنع عن الامالة ، ودل الاستقراء انها لا ترد في وجهين :

الاول : في اصوات الاطباق (الصاد والضاد والطاء والظاء والقاف) واثنين من اصوات الحلق (الخاء والغين) .

الثاني : لاترد في بعض الادوات مثل : حتى واما وأنى ولا وما . ومعنى ذلك ان الامالة خاصة بالاسم والفعل دون (الحرف) .

وعللوا مانع الامالة في الاصوات المطبقة والحلقية عند مجاراتها الالف (ونفتقد بينها الحاء والعين) كونها اصواتا مستعلية الى الحنك الاعلى ، ولما كانت الالف تستعلي اليه عند خروجها الى الامالة « كان العمل من وجه واحد اخف عليهم » الكتاب ١٢٨/٤ والمقتضب ٢٢٥/١ .

وقد دفعهم موقفهم من بعض اللهجات الى انكار امالة امثال : ناقد وعاطس وعاصم وعاضد وعاظل وناخل وواغل (الكتاب ١٢٩/٤) مع أن فريقا من العرب ذهب الى امالتها بدعوى أنها « لغة من لا يؤخذ بلغته » !!

الادغام :

الادغام ظاهرة من ظواهر المماثلة **يفنى** فيها الصوتان المتجاوران **فناء تاما** ، ولذلك سماها المحدثون

Complete assimilation اي المماثلة الكاملة .

لقد اهتم العلماء العرب ـ النحاة والصرفيون واهل القراءات ـ بدراسة هذه الظاهرة ، واولوها عناية كبيرة يخرج الدارس من خلالها بزاد وفير .

ويعد سيبويه من أوائل علماء العربية المعتنين بالادغام حتى عده محور دراسته للاصوات العربية ، وقد ترسم خطاه من تلاه ـ على اختلاف في العرض ـ بالكلام على مخارج الاصوات وبيان صفاتها العامة والخاصة كالذي نجده عند المبرد في المقتضب (١٩٢/١ وما بعدها) والزمخشري الذي تعرض للادغام في اخر كتابه (المفصل) تحت باب سماه (المشترك) وعنى به ما اشترك فيه الاسم والفعل والحرف أو اثنان منهما ، بحيث بدا لدارسه ـ أول وهلة ـ ثانوي القيمة ، ولكن تأكيد ابن يعيش شارح (المفصل) يرد هذا الظن بالقول : « هذا القسم الرابع اخر أقسام الكتاب وهو أعلاها واشرفها اذ كان مشتملا على نكت هذا العلم وتصريفه ، واكثر الناس يضعف عن الاحاطة به لغموضه والمنفعة به عامة » .
ونجد هذه العناية بالادغام عند مكي بن ابي طالب في كتابيه : (الرعاية) و (الكشف عن وجوه القراءات وابن الجزري في (النشر) والسيوطي في (الهمع) .

والادغام عند هؤلاء وسواهم :

١ ـ ادغام المتماثلين : ويرد في كلمة واحدة مثل :

مدّ وشدّ وفي كلمتين مثل قوله تعالى : اضرب بعصاك الحجر .. سورة البقرة ٢\٦٠ .

٢ ــ ادغام المتقاربين الوارد في الكلمة مثل قول تميم : لحم في معهم وفي الكلمتين مثل قوله تعالى : « وجاءت سيارة » سورة يوسف ٢\١٩ وادغام المتماثلين في البحث الصوتي مجيء صوتين متجاورين متماثلين في المخارج ، فان تجاورا تجاوراً مباشراً بحيث لاتفصل بينهما حركة حصل الادغام وان كان تجاورهما غير مباشر ــ لوجود حركة تفصل بينهما جرى حذف الحركة وادغم الصوت الأول في الثاني ، وعلى هذا فالادغام المتماثل من التماثل المدبر أو الرجوعي .

ولا يتم ادغام المتقاربين الا بعد جعل الصوتين متماثلين ، لأن الادغام ــ على رأى الرضي في شرح الشافية ٣\٢٣٥ : « اخراج الصوتين من مخرج واحد دفعة واحدة باعتماد تام ، ولايمكن اخراج المتقاربين من مخرج واحد ، لأن لكل صوت مخرجاً على حدة » .

والادغام شكل من أشكال التضعيف فعند ما نقول : مدّ فالصوتان متماثلان لاتفصل بينهما حركة جرى نطق الدالين من نقطة مخرجية واحدة فيصيران كما قال ابن يعيش (شرح المفصل ١٠/١٢١) لشدة اتصالهما كصوت واحد يرتفع اللسان عنهما رفعة واحدة شديدة » .

فلا غرابة أن يعرف ابن جني الادغام (ويريد به الصغير) انه : تقريب الحرف من الحرف وادناؤه منه » وكل ذلك على راى ابن يعيش لكي (يضعوا السنتهم على مخرج الحرف المكرر وضعة واحدة ويرفعوها رفعة واحدة) ، وهذا معناه استمرار المتكلم بحبس الهواء مدة اطول عند النطق بالصوت (المدغم) ، نزوعاً لتوفير الجهد المبذول .

ولأهل القراءات تقسيم آخر للادغام : فهو عندهم : كبير وصغير ، وهو معتمد على سكون الصوت الاول في كلمتين متجاورتين ـ سواء كانا متماثلين او متقاربين ـ او على حركته .

ويعد الادغام صغيراً في حالة سكونه ـ مما سبق بيانه ـ وكبيراً في حالة حركته ، وتحويلها الى سكون ، وهكذا يكون الاساس واحداً .

واشهر القائلين بالادغام الكبير ابو عمرو بن العلاء (١٥٤هـ) وهو القائل ـ فيما أورد ابن الجزري (النشر ٢٧٥/١) ـ : « الادغام كلام العرب الذي يجري على السنتها ولا يحسنون غيره » واحصى صاحب (النشر) له ألفاً ومئتين وسبعة وسبعين (حرفاً) متحركاً ، ادغمها في التنزيل العزيز (نفسه ٢٩٥/١) فقد كان مثلا ; يدغم تاء التأنيث في الجمع في السين كقوله تعالى : « وعملوا الصالحات سندخلهم » سورة النساء ٥٧\٤)

وفي الصاد (والصفات صفاً) وفي الضاد كقوله تعالى : والعاديات ضبحاً) سورة العاديات ١/١٠٠

كما يدغم الراء المتحركة في اللام مثل : « هن اطهرُ لكَم) هود ٧٨\١١ ولاله ارذل العمرِ لكيلا) النحل ١٦/ ٧٠ « وانظر نماذج أخر في كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد »

المخالفة

قانون المخالفة dissimilation (او التغاير) من قوانين علم الصوت ، يسير باتجاه معاكس من قانون (المماثلة) الذي يهدف الى تقريب الاصوات المتباعدة في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور ، ولكنه تعديل عكسي المخارج والصفات والحركات وتماثلها ».

أما قانون المخالفة فانه « تعديل الصوت الموجود في يؤدي الى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين » « ينظر مناهج البحث في اللغة ١٣٤ » ويكون ذلك بأحد اصوات اللين الطويلة ، او بصوت من الاصوات المتوسطة او المائعة المعروفة بـ Liquids وهي اللام والميم والنون والراء . « التطور اللغوي ٣٧ »

ولذلك افترض Hurwitz ان تكون الكلمات العربية المشتملة على احد الاصوات المائعة المذكورة ،

قد تولدت نتيجة عامل المخالفة بين صوتين متماثلين مثل : حرجل = حجّل، وجلمد = جمّد ، وعنكب = عكب، وعرقب = عقب ، وقرمط = قمط ، وفلطح = فطح (الصوت اللغوي ٣٣٠) ، وشأن المخالفة كما قال فندريس : « ان يعمل المتكلم حركة نطقية مرة واحدة وكان من حقها أن تعمل مرتين » ، (اللغة ٩٤) لعلة نفسية محضة (التطور النحوي ٢١) نظيرة الخطأ في النطق فانا نرى الناس كثيرا ما يخطئون في النطق ، ويلفظون بشيء غير الذي ارادوه ، واكثر ما يكون هذا اذا تتابعت أصوات متشابهة ، لأن النفس يوجد فيها قبل النطق بكلمة تصورات الحركات اللازمة على ترتيبها ، ويصعب عليها اعادة تصور بعينه ، بعد حصوله بمدة قصيرة ، ومن هنا ينشأ الخطأ اذا أسرع الانسان في نطق جملة محتوية على كلمات تتكرر وتتابع فيها حروف متشابهة .

وتبعاً لتجاور الصوتين اللذين يحدث بينهما التخالف او تباعدهما ، قسم علماء الاصوات المحدثون المخالفة نوعين :

أ ـ **المتصل** وسماه مجمع اللغة العربية بمصر تغاير المجاورة Conlact dissimilation كالحاصل في اجاص = انجاص ، ودبّوس = دنبوس ، عكّب = عنكب، لعل = لعّن « بعض لهجات العرب القديمة » .

ويحدث هذا النوع في الاصوات المشددة (المتماثلة) بأحد الاصوات المائعة المارة الذكر .

ب ـ **المنفصل** وسماه مجمع اللغة العربية بمصر تغاير المباعدة distant dissimilation ويحدث فيما بين صوتيه فارق كالحاصل في اخضوضر التي اصلها اخضرضر ، فابدلت الراء الاولى واواً ، والجب = الجواب (بمعنى القطع) ، وبغداد = بغدان .

لقد عرف علماء العرب هذه الظاهرة ، واولوها عنايتهم ، وعزوا حدوثها الى استثقالهم « ان يميلوا السنتهم عن موضع ـ (في اجتماع المثلين) ثم يعيدوها اليه ، لما في ذلك من الكلفة على اللسان » [شرح التصريف الملوكي ٤٥١] ، وهذا تأكيد لرأى من يعد المخالفة من المحدثين ـ ضربا من الحد الاقل من الجهد Least of effort الذي نادى به فريق منهم لملاحظتهم ميل الانسان في نطقه الى تلمس السهل من الاصوات التي تخفف عنه الجهد ، فسيتبدل مع الايام الاصوات الصعبة في لغته الى نظائرها التي تقلل العناء والنصب .

قلت : ان العلماء العرب عرفوا ظاهرة المخالفة ، واضيف انهم سمّوها مسميات منها : كراهة اجتماع المثلين أو كراهية التضعيف او كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد أو توالى الأمثال مكروه وما الى ذلك .«ينظر السيوطي في الاشباه والنظائر ١\١٨ » .

واقدم من عـّرف هذه الظاهرة الخليل الذي شبه اجتماع المثلين بمشي المقيد ، لانه يرفع رجله ويضعها في موضعها، أو قريب منه ،لان القيد يمنعه عن الانبعاث، وامتداد الخطوة (شرح التصريف الملوكي ٤٥١ ومابعدها) لذلك عده مكروها .

وعقد سيبويه في كتابه ٤\٤٢٤ باباً عنوانه : ماشذ فأبدل مكان اللام والياء ، لكراهية التضعيف وليس بمطرد واورد قول العرب : تسريت وتظنيت وتقصيت من القصة وامليت بدل امللت أمثلة لذلك

وعالج ابو العباس المبرد المخالفة في كتابه(المقتضب ١\٢٤٥ وما بعدها) في باب بعنوان : ماشبه من المضاعف بالمعتل فحذف في موضع حذفه « خلص فيه الى » ان التضعيف مستثقل ، وان رفع اللسان عنه مرة واحدة ، ثم العودة اليه ليس كرفع اللسان عنه وعن الحرف الذي من مخرجه ولا فصل بينهما فلذلك وجب ، وقوم من العرب اذا وقع التضعيف أبدلوا الياء من الثاني لئلا يلتقي حرفان من جنس واحد » .

واشار الزمخشري الى احد ضروب المخالفة(*) ، وهو حذف احد المقطعين المتتاليين المتماثلين في باب « الادغام »فقال : وقد عدلوا في بعض ملاقي المثلين او المتقاربين لاعواز الادغام الى الحذف ، فقالوا في : ظللت ومسست واحسست ظلت ومست واحست » وعقب ابن

يعيش في شرحه المفصل ١٥٣\١٠ بالقول : « اعلم ان النحويين قد نظموا هذا النوع من التغيير في سلك الادغام، وسموه به ، وان لم يكن فيه ادغام ، انما هو من الاعلال للتخفيف كراهية اجتماع المتجانسين ... » .

كما عالج المخالفة جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) في كتابه الاشباه والنظائر ١\١٨ وما بعدها بما لايخرج عما أوضحناه . وفي كتب التفسير والنحو واللغة الكثير من الاشارات لقانون المخالفة .

والغريب ان يذهب الدكتور ابراهيم انيس ـ رحمه الله ـ الى القول : « ولم يفطن علماء العربية القدماء لهذه الظاهرة ـ يعني المخالفة ـ ولم يولوها ماتستحق من عناية واضطرب تفسيرهم لها » الاصوات اللغوية ٢١١ وخلص بعد الاشارة الى بعض النصوص التي ساقها من (الكتاب) ومن (أمالي الشجري) الى الاعتقاد « ان الامر اكبر من تلك الاشارات التي لاتقنع الباحث المدقق » .

وها نحن أولاء نجتلي طائفة من معالجات فريق من علماء العربية لظاهرة المخالفة ، وسنرى في اثنائها معرفتهم بها .

١ ـ الخليل بن احمد الفراهيدي ١٧٥ هـ

ـ « دهديت ـ هي فيما زعم الخليل ـ دهدهت بمنزلة دحرجت ، ولكنه ابدل من الهاء لشبهها بها ، وانها

في الخفاء والخفة نحوها فأبدلت من الياء في **هذه** » .
الكتاب ٤\٣٩٣

ـ **مهما** عند الخليل اداة مركبة من **(ما)** الشرطية و **(ما)** التي تلحق لغواً في قولك : متى تأتني آتك .

قال : انهم استقبحوا ان يكرروا لفظاً واحداً ، فيقولوا **ماما** فأبدلوا الهاء من الألف . الكتاب ٣\٥٩ـ٦٠

٢ ـ الفرّاء ٢٠٧هـ

ـ وقد خاب من دساها سورة الشمس ٩١\١٠

قال الفراء: « ونرى ان دساها من دسست، **بدلت** بعض سيناتها ياء ، كما قالوا : تظنيت من الظن ، وتقضيت يريدون : تقضضت من : تقضض البازي . وخرجت اتلعى : اَلتمسَ اللعاع(*) وارعاه ، **والعرب تبدل المشدد الحرف منه بالياء والواو** من ذلك ماذكرنا لك . وسمعت بعض بني عقيل ينشد :

يشبو بها نشجانه من النشيج

يريد : يشب : يظهر ، فجعلها واواً » معاني القرآن ٣\٢٦٧

ـ وانظر الى طعامك وشرابك لم **يتسنه** » سورة ٢/ ومن قال في تصغير السنة سنينة ... جاز ان يكون

تسنيت تفعلت **ابدلت النون بالياء لما كثرت النونات ، كما قالوا : تظنيت من الظن »** . معاني القرآن ٢\١٧٢

ابن خالوية ٣٧٠ هـ

وقد خاب من دساها   سورة الشمس ٩١\١٠

قال : والألف من دسّى مبدلة من سين **كراهيه اجتماع ثلاث سينات ، والأصل من دسسها** اي اخفاها . . كما قال تعالى : « ثم ذهب الى أهله يتمطى » **والأصل : يتمطط** ، يقال : تمطى فلان اي تبختر .

اعراب ثلاثين سورة ١٠٢

ابن السيد ٥٢١ هـ :

ـ جاء في الاقتضاب ١٣٧ قوله :

ـ « . . . جاء على لغة **من يبدل أحد الحرفين المثلين ياء** نحو قولهم :

قصّيت اظفاري اي قصصتها ، وقول العجاج :

اذا الكرام ابتدروا الباع بدرْ

تقضّي البازي اذا البازي كسرْ

وقول ابي زبيد :

خلا انّ العتاق من المطايا

حَسينَ به فهنّ اليه شوسْ

وقــول كثير :

نــزور امــرءاً امــا الالــه فيتقــي
واـمــا بفعــل الصالحــين **فيأتمي** »

ـ « قد حكــى اللغويون أن قومــاً من اهل اليمن **يبدلون الحرف الأول نوناً** فيقولون **حنظ** يريدون حظاً **وانجاص وانجانة** فاذا جمعوا رجعــوا الى الأصــل » الاقتضاب ١٩٥

ابن هشام الانصارى ٧٦١ هـ

ـ أما بالفتح والتشديد ، **وقد تبدل ميمها الأولى ياء استثقالا للتضعيف** ، كقول عمر بن ابي ربيعة :

رات رجــلا **أيما** اذا الشمس عارضت
فيضحى **وأيمــا** بالعشي فيخصر »

مغنى اللبيب ١\ ٥٧

ان هذه الاقتباسات وكثير غيرها [انظر مثلا شرح التصريف الملوكي ٢٤٧ـ٢٥٤] تدل دلالة اكيدة على ان البحث الصوتي عند العرب لم يكن بمنأى عن فهم ظاهرة المخالفة ، صحيح ان عرضهم لها شأن المباحث الاخر ـ لايرقى الى مستوى مابلغته مباحث الدرس الصوتــي الحديث ، ولكن ينبغي ان تؤخذ بميزان عصورها ، واذا ما أدركنا ذلك ، اكبرنا البحث الصوتي عندهم ، وكان لنا كبير فخر واعتزاز بما قدموا .

عيوب النطق

عيوب النطق speech defects حالات تصيب الانسان في طفولته ومراحل سنيه الاخرى ، تعيق استخدامه الكلام بالشكل السليم ، او تمنعه عن النطق جزئيا او كليا . وقد اهتم الدرس اللغوي الحديث بالعيوب الحاصلة من زلات اللسان في حالة الاصحاء ، والاضطرابات الكلامية عند المصابين بالحبسة a phasia وخلص الى شدة ارتباط الحالة الاولى بالفعل الباطن ، وصلة الثانية منهما بما سمي بصعوبة التسمية او بصعوبة العثور على الاسماء المناسبة عند اولئك الناطقين. «لمزيد من الايضاح ينظر اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ٢٢ » .

ويعني الدرس الصوتي بأعتبارها عملية استبدال وحدة صوتية phoneme بأخرى ، وتأثير ذلك على المعنى الفوينمي .

ولعلم النفس اهتمام واضح بدراسة الكثير من حالات عسر الكلام وعيوبه لارتباط الكثير منها بحالات نفسية تدخل في نطاقه ، ويولي اهتماما واضحا بحالات الصم في كسب القدرة على التعبير عما يجول في صدورهم بشتى الوسائل من كلام أو اشارة ليفهموا أولا ما يلقى عليهم ، وليفصحوا عما يبتغون ايصاله الى العالم الخارجي المحيط بهم .

واذا كان المحدثون ـ ممن المعنا اليهم باقتضاب ـ يولون عيوب النطق كل من زاويته ، فقد لقي الصم ومن اليهم في المجتمعات القديمة كثيرا من الاذى والعنت، ويكفي الاشارة الى موقف المجتمع الروماني القديم منهم واصفا اياهم بالعته والبلاهة ، متخلصا منهم بأعتبارهم عالة عليه ، وقد ميز (جستنيان) المشرع الروماني في قانونه المعروف بأسمه بين طائفتين من الصم ، افراد الطائفة الاولى وهم الذين فقدوا سمعهم في حياتهم المبكرة ، وهو ما يسمى الان بالصم الولادي اي الذين اصيبوا قبل الولادة أو بعدها بوقت يسير ، وافراد الطائفة الثانية وهم الذين اصيبوا بالصمم بعد ان عرفوا الكلام . فحرم المجموعة الاولى من حقوقها المدنية وأعفاهم من الواجبات ، ولكنه ترفق بها فلم يحرمها من حق الزواج .. ! « انظر في ذلك سيكلوجية الطفل المعوق ١٨٩ وما بعدها » .

لقد عرف العرب عيوب النطق ، وتعددت عندهم اسماؤها ، ووصفوا الكثير من حالاتها ، تاركين صفحات غنية بالملاحظات النافعة ، لاهتمامهم بحسن البيان ، ومناحي الفصاحة ، ولم يفت علماءهم ما شاب السنة المستعربين من مظاهر اللكنة وما اليها .

ولعل الجاحظ (٢٥٥ هـ) من اوائل علماء العرب الذين أولوا سلامة النطق العناية الفائقة ، لانها ذات

صلة وطيدة بنظريته في « البيان » ، فلا غرو أن نلقاه يعالج الحالات التي شذت فيها فصاحة النطق بالاصوات عن صحة مخارجها ، وما أصاب اللفظ معها من تحريف أو تشويه ، مستعينا بالامثلة الموضحة ، التي لا تخلو من مظاهر الهزء والسخرية .

فقد وصف اللثغة تحت باب عنوانه « ذكر الحروف التي تدخلها اللثغة وما يحضرني منها » في البيان ١/٣٤ وعدد أنواعها المختلفة ، وصور ـ ربما يجتلب الدهشة والثناء ـ ما شاع في ألسنة المستعربين من اخطاء النطق .

ولفيلسوف العرب ابو يوسف الكندي (ت بعد ٢٥٦هـ) رسالة في اللثغة احتفظت بها خزانة جامع ايا صوفيا تحت رقم ٣٢ ، ٤٨ في مجموع مخطوط بين ٢١٤ ـ ٢٦١ من صفحاته ، وعنها مصورة في معهد المخطوطات العربية تحت رقم ١٦٣ فلسفة ومنطق .

وربما كانت رسالة الكندي الوحيدة من نوعها ـ فيما نعلم ـ في العربية ، تقع الرسالة في ثمانية أبواب ، تحدث الكندي في الباب الاول عن اعضاء النطق عند الانسان ، وفي الباب الثاني في صلة النطق بالحرف ، وعرف اللثغة في الباب الثالث بقوله : تغيير اللسان عن الحال الجاري المجرى الطبيعي » ، وان ذلك عائد لامرين هما : التشنج والاسترخاء ، وقال : « فأما

التشنج فهو أن يأتي بالفاظ خارجة عن الجاري المجرى الطبيعي على غير نظام » .

ووصف في الباب الرابع اصوات العربية فالدال في رايه تحتاج الى نغمة مع همزة بطرف اللسان على طرف الحنك ومقاديم الاسنان وفتحة ثم عطفة الى داخل الحنك » ويقول في نعت الزاي :

« تحتاج الى نغمة مع الزام طرف اللسان ومقدم الاسنان واخراج النفس خروجا يسيرا من بين الاسنان بزمزمة . ولعله عنى بالزمزمة ما يعرف بالصفيرية siblant وهي من خصائص صوت الزاي .

وظل الكندي على وفق هذا المنهج يعالج اصوات العربية بأعجاب فائق ، اذ « ليست لغة أفصح ولا أعذب ولا أخف من اللغة العربية » على رأيه .

وخصص الكندي الباب الخامس للاصوات التي تصيبها اللثغة عند العرب، واورد منها عشرة عند الشيوخ هي: الغين والسين والشين والكاف والضاد والجيم والحاء والزاي والقاف والراء ، اما عند الاطفال فهي اكثر من ذلك لان الطفل « اذا قلت بين يديه مرة ومرتين خبرا ، حكى قولك في ذلك وهو لا يعلم أين ينبغي له أن يضع لسانه من الاماكن الواجبة النطق » وهي ملاحظة سديدة لا تحتاج الى فضل بيان .

ويشير الكندي في الباب السادس الى اسماء عيوب النطق ، ويعدد مظاهر اللثغة ويسمى مراحلها فاللاثغ بالتاء المتمتم ، واللاثغ بالجيم يقال له المدمدم . واللاثغ بالراء يقال له ذا العقل ، واللاثغ بالقاف يقال له ذا الحبس ...

وفي الباب السابع محاولة لمعالجة الالكن والاخن باعتبار ان الا لكن من غلط في آلة النطق ـ يعني اللسان ـ لان (العضل المحركة لهذا العضو لا تطبق حمله وتحركه وتنقله عن الاماكن الواجبة للنطق) اما « علة الاخن فان النفس يسبق الخياشيم » .

ويعود الكندي في الباب الثامن من رسالته ، فيعرض وجوهها الثلاثة : وجهين متعلقين بما سماه (النفس الناطقة) في حالتي قوتها وضعفها وثالث الوجهين ويكون اما لزيادة آلة النطق واما لنقصانه » .

ان حديث الكندي عن عبوب النطق حديث عارف واصف معلل ، ورسالته دالة على استيعاب واضح للثغة وسواها من عيوب النطق .

على اننا لا نعدم في المظان التي عدنا اليها محاولات اخرى في علاج بعض عيوب النطق كالحبسة والخرس والصم ، فقد روى الجاحظ عن محمد بن الجهم (الكامل ٢/٢٢٢) قال : اقبلت على الفكر في ايام محاربة الزط فأعترني حبسة في لساني . وهذا يكون

لان اللسان يحتاج الى تمرين على القول حتى يخف له ، كما تحتاج اليد الى التمرين على العمل ، والرجل الى التمرين على المشي .. ورافع الحجر ليصلب ويشتد « وأشار الجاحظ الى عناية المتكلمين بخرس الصم (الحيوان ٤٠٧/٤) واستخدام الاخرس للغة الاشارات (نفسه ٤٠١/٤) واستملاح اللثغة عند الجواري (البيان ٢٦/١) .

وقد افاد ابو العباس المبرد (٢٨٥هـ) مما اورد الجاحظ في عيوب النطق فساق غير قليل من اسمائها (الكامل ٢٢١/٢ وما بعدها) الى جانب ايراده ، جملة من امثلتها الواردة على السنة العرب والمستعربين .

وللمعجبين العرب عناية بوصف عيوب النطق ، موزعة في ثنايا معجماتهم ، وافرد ابن سيده (٤٥٨ هـ) لها فصولا في (المخصص ١١٢/٢ ـ ١٣٢) تحت عنوانات منها : باب الفصاحة ، وخفة الكلام وسرعته ، وثقل اللسان واللحن وقلة البيان ، وكثرة الكلام والخطأ فيه ، والاختلاط في الكلام ، وضخم الصوت وجفاؤه . الى غير ذلك .

وأهم ما يلاحظ الباحث فيما أورده العلماء العرب ، كثرة الترادف في اسماء عيوب النطق ، وتداخلها عندهم كما أن فريقا منها يدخل في العيوب العارضة كالرتج مثلا والبهر وهو من عيوب البيان ،

ولا يعد الاسهاب من عيوب النطق ، وأحسبهم ذكروه فيها لشدة صلته بالبيان .

على انه بالامكان ارجاع العيوب تلك على وفق مفهومهم لها الى حالات ثلاث :

أ ـ العيوب الفسيولوجية ، التي تصيب عضوا أو اخر من اعضاء النطق .

ب ـ عيوب (عارضة) يمليها (مقام) خاص .

جـ ـ عيوب اللفظ التي شاعت في ألسنة الاقوام غير العربية .

أ ـ أما عيوب الحالة الاولى فأن اهمها الاتي ذكره :

التهتهة : وهي الالتواء في اللسان المخصص ١٢٢/٢

التمتمة : هي تردد في التاء عند ابن السكيت (المخصص ١١٨/٢) وعند الجاحظ (البيان ٣٩/١) : يقال في لسانه حبسة اذا الكلام يثقل عليه ، ولم يبلغ حد الفافاء والتمتمام » .

الخنن : ومنه الاخن : وهو المسدود الخياشيم المخصص ١١٩/٢ .

الرُتة : عند أبي حاتم السجستاني جعل اللام ياء المخصص ١١٨/٢ وترادفها التعتعة عند ابن دريد في الجمهرة .

العجلة : السرعة في تآلف الاصوات وسوق الكلام مما يجعل الكلام غير واضح ولامفهوم الحيوان ١٢/١ وترادف اللفف .

العقدة : هي التي تصيب اللسان فتجعل النطق بالكلام عسيرا ، ويتحول الكلام الى تقاطيع صوتية مبهمة لا تكاد تفهم الحيوان ١/١ ، ٧ ، ١٥ .

العقلة : قال الخليل يقال اعتقل لسانه اذا امتسك ، وترادف الجلجةواللفف عندالجاحظ (البيان ٣٩/١).

الفأفأة : قال الاصمعي اذا تتعتع اللسان في التاء فهو تمتام ، واذا تتعتع في الفاء فهو فأفاء البيان ٣٧/١ .

اللفف : هو أن يدخل الرجل بعض كلامه في بعض البيان ٢٠/١ وانظر العجلة فيما سبق بيانه .

اللثغة : عيب من عيوب النطق يعتري اللسان ، من جراء اخراج الصوت من غير مخرجه ، وتستبان اللثغة عند الاطفال في بدء تعلمهم الكلام ، وتظل عند فريق حتى الكبر . وقد مر بنا ايراد الكندي عشرة من اصوات العربية

تقع فيها اللثغة، اماالجاحظ فعد من اصواتها اربعة هي : القاف والسين واللام والـراء وقال (في البيان ١/٣٤) : فأما التي هي على الشين المعجمة ، فذلك شيء لا يصوره الخط، لانه ليس من الحروف المعروفة ، وانما هو مخرج من المخارج ، والمخارج لا تحصى ولا يوقف عليها .. » وأورد من حالاتها الاتي ذكره :

١ ــ السين تكون ثاء كقولهم لابي يكسوم ابي يكثوم وبثم الله اذا ارادوا : بسم الله .

٢ ــ القاف تكون طاء كقولهم : طلت له في : قلت له . وطال لي بدل : قال لي !

٣ ــ اللام تكون ياء أو كافا مثل : اعتييت . بدل اعتللت ومكعكة في هذا ؟ بدل : ما العلة في هذا ؟ !

٤ ــ الراء تكون لاما او ياء أو غينا أو ذالا أو ظاء ، فمنهم من اذا أراد أن يقول عمرو قال : عمي فيجعل الراء ياء ومرة : مية . ومنهم اذا أراد أن يقول عمرو قال : عـَمغ فيجعل الراء غينا . ومنهم من اذا أراد ان يقول عمرو قال : عمذ فيجعل الراء ذالا . ومنهم مـن

يجعل الراء ظاء معجمة فاذا اراد ان يقول : مرة قال : مظة .

٥ ـ « اما اللثغة التي كانت تعرض لواصل بن عطاء ، لسليمان بن يزيد العدوي الشاعر فليس الى تصويرها سبيل » .

٦ ـ « وكذلك اللثغة التي تعرض في السين كنحو ما يعرض لمحمد بن الحجاج ، ـ كاتب داود ابن محمد كاتب ام جعفر ـ فأن تلك ليست لها صورة في الخط ترى العين ، وانما يصورها اللسان فيتأدى الى السمع » .

٧ ـ « وربما اجتمعت في الواحد لثغتان في حرفين كنحو : شوشي ، قال مرة : موياي ويي أيي يريد : مولاي ولي الري » !

ان بالامكان القول ان ما يحصل عند الالثغ لا يخرج عن كونه تشويها تصاب به بعض اعضاء النطق ، فيعمد الالثغ الى مخرج (بديل) للصوت .

ب ـ اما العيوب العارضة الحادثة من المقام الذي يقال فيه الكلام ، والحالة النفسية التي عليها المتكلم من خجل وانقباض وتهيب للموقف ، او تلك الحاصلة في الشيخوخة فأن المهم منها الاتي ذكره :

١ ـ **البكء** : واصله في اللبن ويعني القلة، ويطلق

عندهم على حالات العجز عن التصرف بالكلام قولا وخطابة ، وخصه الجاحظ بالخطباء ، وروى الحديث « انا معشر الانبياء بكاء » اي قليلو الكلام (البيان ١/١٣) وزعم ان ارسطو كان « بكي اللسان غير موصوف بالبيان ، مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله ومعانيه وخصائصه » البيان ٣/٢٧ .

٢ ــ **البُهر** : وهو من عيوب البيان ، خاص بالخطباء عند عجزهم عن الاسترسال في تفصيل المعاني ، لخجل ينتابهم عند مواجهة جمع من الناس .

٣ ــ **الرّتج** : ويطلق على الخطيب الذي اغلق عليه الكلام ، فلم يستطع الاسترسال ، تهيبا من جمع غفير ، كالذي حدث ليزيد بن أبي سفيان ــ فيما روى المبرد في الكامل ١/٩٧ــ حين ولي ربعا من أرباع الشام ، فرقى المنبر فأرتج عليه ، فأستأنف فأرتج عليه ، فقطع الخطبة وقال : سيجعل الله بعد عسر يسرا ، وبعد عي بيانا ، وأنتم الى أمير فعال ، احوج منكم الى امير قوال !

٤ ــ المفحم : كمكرَم : العيي ومن لا يقدر قول الشعر ، يقال : هاجاه فأفحمه صادفة

مفحما اللسان والقاموس (فحــم) وفي
الحيوان ٣٨١/٤ : كان بنو بدر مفحمين .

٥ ـ الهذر : ويطلق على الذي كثر كلامه في الخطأ
والباطل المخصص ١٢٥/١ .

٦ ـ الوقواقة : الكثير الكلام المخصص ١٢٦/١
واصل الوقوقة : اختلاط صوت الطــير
اللسان (وقق) .

٧ ـ اليهمور : الكثير الكلام ، وقد همر الكلام يهمره
وهمر فيه المخصص ١٢٦/١ .

حـ ـ اما عيوب اللفظ فيمكن اجمالها بمظاهر **اللكنــة**
التي كانت بادية في الاقوام غير العربية التي دخلت
المجتمع العربي ، وصار لهم موقع فيه ، فأستبان
في ألسنتهم بقايا لغتهم التي كانوا عليها في تحاورهم
وتخاطبهم سواء اكانوا من العامة ام من الخاصة
كالشعراء والخطباء ومن اليهم ، وفي هؤلاء النبطي
الاصيل والصقلبي والهندي والفارسي والرومي .
ولا تشمل اللكنة ابدال الاصوات بل تشمل الصيغ
عندهم ايضا كما يأتي بيانه فيما بعــد .

ويمكن اجمال ما تأدى الينا من ابدال الاصــوات
بالآتي ذكره :

أ ـ الاصوات الحلقية والحنجرية :

١ ـ جعل الحاء هاء : يؤثر عن صهيب بن سنان النمري صاحب رسول الله (ص) ، ارتضاخه لكنة رومية، وكان يقول فيما روى الجاحظ البيان ٧٢/١ : « انك لهائن » يريد انك لحائن اي هالك .

وكان عبيدالله بن زياد يرتضخ لكنه فارسية اتته من قبل زوج امه : شيرويه الاسوارى ، وهو القائل لهانيء بن قبيصة : أهرورى سائر اليوم ؟ يريد : أحرورى ، فقلب الحاء هاء .

وكانت لكنة وازدا نقاذار نبطية ، ويصور الجاحظ في البيان ٧٢/١ ذلك بأملائه على كاتب له فقال : اكتب الهاصل الف كر » يريد الحاصل ، والكرمكيال لاهل العراق .

وكان النبطي يقلب العين همزة (البيان ٧٣/١) والعين صوت حلقي أما الهمزة فصوت حنجري كما مر بيانه .

ب ـ الاصوات الغارية ـ والاسنانية اللثوية وتتمثل في الاتي :

١ ـ قلب السين وهو صوت اسناني لثوي الى الشين وهو غاري المخرج ، وانما كان كذلك لتأخر المخرج ومثاله فيما روى عن زياد الاعجم وكان يرتضخ لكنة اعجمية ، فدعي الاعجم (الشعراء ٣٤٣/١) ، وكان

يجعل السين شينا . (البيان ١/٧١) ، وقد ورد عكس ذلك بقلبه الشين الى سين ، كما ورد في قول سحيم عبد بني الحسحاس لعمر بن الخطاب (رض) : ما سعرت بدل : ما شعرت !

٢ ـ قلب الجيم زايا ، والجيم غاري والزاي اسناني لثوي ، وهو من خصائص المستعربين الهنود (البيان ١/٢٣) .

حـ ـ الاصوات الاسنانية اللثوية والاسنانية : كقلب الذال (الاسناني) دالا (وهو اسناني لثوي) الماثل في قول ام ولد جرير لبعض ولدها : «وقع الجردان في عجان امكم » فأبدلت الذال ـ الجرذان دالا ، وضمت الجيم ، وجعلت العجين عجانا !

وكان الصقالبة يجعلون الذال المعجمة دالا (البيان ١/٧٤) . على ان بعض اللكن يجعلون الطاء تاء ، وهما صوتان من مخرج واحد هو مخرج الاسنانية اللثوية ، والمعروف انهما صوتان شديدان مهموسان ، والتاء نظير الطاء والفرق بينهما ان الطاء صوت مطبق والتاء صوت غير مطبق . وقد عزا الجاحظ (البيان ١/٧١) مثل هذه الظاهرة الى زياد الاعجم .

وادخل علماء العربية ـ والجاحظ بصورة خاصة ـ خطأ الصيغ في مظاهر اللكنة ، وساق له جانبا من الأمثلة من ذلك قوله (البيان /٧٤) : « قيل لنبطي : لمَ

ابتعت هذه الاتان ؟! قال : اركبها وتَلَد لي ، فجاء المعنى بعينه ، ولم يبدل الحروف بغيرها ، ولازاد فيها ولا نقص، ولكنه **فتح المكسور** حين قال : وتلد لي ، ولم يقل : تلِد لي » .

واورد مثالا سبق ايراده لام ولد جرير في جعلها العجين : عجانا ـ وشتان ما هما ـ .

ولم يفت الجاحظ ملاحظة ان الذي يتعلم لغة اخرى غير لغته تظل عنده الى فترة غير قصيرة بعض مظاهر لغته الاصلية قال : (البيان ٣١/١) « ان النبطي المغلاق الذي نشأ في سواد الكوفة وان تكلم العربية المعروفة ، وكان لفظه متخيرا ، ومعناه شريفا ، يعرف السامع لكلامه ومخارج حروفه انه نبطي » وتلك حقيقة يؤيدها الدرس الصوتي الحديث حين افصح بالقول : ان لكل لغة لغوية عاداتها النطقية الخاصة بها ، فاذا اقدم اصحاب لغة ما على تعلم لغة اخرى كانوا عرضة لان يخطئوا في اصوات هذه اللغة الاخيرة ، وان يخلطوا بين اصواتها واصوات لغتهم ، بسبب تاثرهم بعاداتهم النطقية » علم الاصوات ١٧٦ .

وهكذا يستبان من حديثنا عن اللكنة ـ بخاصة ابدال الاصوات ـ كونها تغييراً صوتيا ماثلا في تقدم مخرج الصوت او تأخره بسبب عيب او عادة نطقية اخرى ، هو بالتالي مظهر من مظاهر استبدال وحدة صوتية باخرى .

ملامح المنهج الصوتي عند العرب

بعد الفراغ من معالجة البحث الصوتي عند العرب، واستكناه موقعه فيما يماثله عند المحدثين ، نرغب في اجمال ما خلصنا اليه فيه ، ليستبان أثره ، وليعرف خطره ، وسنتبين من ثمة أهم ملامح المنهج الصوتي عند العرب ، وهو حديث أرجأنا خوضه فيما سبق بيانه ، ليكون خاتمة المطاف .

عرف العرب الصوت وطبيعته ، وغير قليل من خصائصه العامة ، واثره السمعي ، ونرجح دخول هذه المباحث في علم الصوت السمعي A Constic phonetics ،

ومعرفتهم الكثير من مكونات جهاز النطق ، ومخارج الاصوات ، ووضعهم هجائيتهم الصوتية واصواتها (الاصول) و (الفرعية) التي سميت عندهم بالاصوات المستحسنة التي حاقها من جراء الموقعية في الكلمة او ما جاورها غير قليل من التبديل ، وعدم اكتفائهم بالمستحسن من الاصوات التي اجازوا قراءة القرآن والشعر بها بل درسوا اصواتا اخر شانها ـ عندهم ما شان الاصوات الاخرى ولكنهم رغبوا عنها .

وفي صفات الاصوات عرف البحث الصوتي الجهر والهمس ولصيق صلتهما برنين الصوتيين ، وشدة الصوت وتمكنه في حالة الجهر وخلافهما في الهمس ،

وان استبان في تعريف الشدة والرخاوة اختلاط وتداخل فقد توصلوا عن طريق معرفة (آنية) الشديد و (تواصل) الرخو الى نتائج حسنة ، كما كان تعاملهم مع (صحيح) الاصوات (ومدها) نافعا في مجمله .

وفي الصفات الخاصة درسوا ما لم يعرفوا البحث الصوتي الحديث مع اختلاف الوسائل ، واهتدوا بالنطق الذاتي الى ما اهتـدى اليه المحـدثون بوسـائل العلم والمختبرات الصوتية ومعاملها التقنية الباذخة !

وفي النبر والتنغيم عرفنا بعض ما عرفوه فيهما ، ولو شئنا مجاراة الدكتور محمود السعران ـ المرجوة له الرحمة ـ في عد ما اشتمل عليه علم العروض مـن دراسة الاوتار والاسباب وما اليها ضربا من (النبر) ومعرفة بالمقاطع لكان العطاء اغزر واوفر .

وتبينا من ثمة معرفة العرب المهم من قوانين الصوت، ورددنا راي من قال بعدمه ، من خلال دراسة المماثلة والمخالفة وصورهما .

وكان لنا اخيرا اجتلاء عيوب النطق على وفـق مفاهيمهم ، ووضحنا سبب العناية بها ، وانواعهـا ، وموقع ما قدموا عند اهل النظر في علم الصوت الحديث.

ان بعض مباحث العرب في البحث الصوتي داخلة في علم الصوت phonetics لاشتماله على دراسة

التكوين التشريحي لجهاز النطق ، والصوت ومكوناتـه وعناصره وصفاته العامة والخاصة على مستوى المجموعة البشرية .

كما أن بعض جوانب علـم الصوت الوظيفـي phonology تبدو جلية في دراسة قوانين التأثر والتأثير ، واستكناه ظواهر النبر والتنغيم ، وطـول الصوت وقصره ، سواء أكان طوله صفة دائمة ام آنية عارضـة .

اما ملامح المنهج الصوتي فأنها مجملة بالاتي ذكره :

أ ــ الاعتماد على المنهج الوصفي :

وهو منهج تعتمده الدراسات اللغوية الحديثة ، وقد أفضى بهم الى وصف العربية ، وجهازها المصوت ، **وظواهر التأثر والتأثير وسواها وقادهم الى كثير مـن** النتائج النافعة ، التي يستبان الكثير منها في ثنايا هذه « المقدمـة » .

لقد اعتمد الدرس النحوي واللغوي هذا المنهج ، ولكنه سرعان ما حاد عنه الى منهج معياري ، وليس هذا موضع بيانه والخوض فيه .

ب ــ اتخاذ النطق الذاتي سبيلا لبيان الصفات العامـة والخاصة للاصوات ، ويستبان في (ذوق) الاصوات عند الخليل ، وفيما أوردناه من شرح الكتاب لابي سـعيد

السيرافي (٣٦٨هـ) ، ونضيف اليه قول سيبويه في الكتاب ٤/٤٨٠ :

« والدليل على ذلك أنك لوجافيت بين حنكيك فبالغت ثم قلت قق قق لم تر ذلك مخلا بالقاف ، ولو فعلته بالكاف وما بعدها من حروف اللسان أخل ذلك بهن » .

وقد ترسم ابن جني والاخرون خطى رائد علم الصوت العربي الفراهيدي وتلميذه سيبويه في ذلك ، ولم يكن العرب وحدهم المعتمدين على (النطق الذاتي) فذلك ديدن الدرس الصوتي عند الهنود ايضا ، وهم والعرب اقدم الأمم في سبق الغربيين في علم الصوت ، وهي حقيقة اعترف بها غير واحد من المستشرقين المنصفين كبرغشتراسر وجان كانتينو وهنري فليش وسواهم .

جـ ـ الاعتماد على نظام (العينات) ، وهو شكل من اشكال المنهج الاستقرائي synchronic في البحث ، ولاشك ان الخليل بن احمد الفراهيدي أرسى نظريته في ذلاقة بعض الاصوات التي عضدت نتائجها الحاسبات الالكترونية (الكمبيوتر) بشكل عام على وفق هذا المنهج .

ولم يتبع الفراهيدي هذا المنهج وحده ، فأن بين ايدينا نصا اخر لابي محمد اليزيدي (٢٠٢هـ) يومىء الى ذلك .

روى الجاحظ في البيان ٢٢/١ لابي محمد اليزيدي المذكور قوله :

وخلة اللفظ في الياءات ان ذكرت
كخلــة اللفظ في اللامات والالف
وخصلة الراء فيها غــير خافية
فأعرف مواقعها في القول والصحف

وهو القائل : « ان هذه الحروف ـ التي مر بيانها في البيتين ـ اكثر ترددا من غيرها ، والحاجة اليها أشد.
واعتبر ذلك بأن تأخذ عدة رسائل وعدة خطب من جملة خطب الناس ورسائلهم فانك متى حصلت جميع حروفها وعددت كل شكل على حدة علمت أن هــــذه الحروف الحاجة اليها أشد » ومهما يكن نصيب هــذا الراي من الصحة ، فأنه دال على نمط من اســـتقراء (العينات) واستخلاص النتائج منها .

تلك المامة يسيرة بأهم ملامح المنهج الصوتي عنــد العرب ، ويبدو منها معرفتهم بالمهم من المناهج المماثلــة في البحث الصوتي الحديث .

(*) : Robin, R.H. General linguistics : 104

(*) وقد سبقهما الجاحظ في ملاحظة سرعة الضوء في الحيوان ٤/٤٠٨
(ط اولى) .

(*) من هؤلاء أ . شادة انظر صحيفة دار العلوم (العدد الثاني)
وانظر : الاصوات اللغوية ١١٢ .

(*) بور : اسم مدينة .

(*) : انما قلت الواو في يرجو لان الواو في امثال : ورد وولد ...
صوت صامت شفوي .

(**) انظر D. Jones, An out line, 23

(*) لمزيد من التفاصيل ينظر كتاب دانيال جونز (المذكور في الهامش السابق) ود . كمال بشر في الاصوات ١٣٩ وما بعدها ولانواع الحركات ينظر :
R. H. Robins, General Linguistics, 95-98

(*) انظر د . علي احمد موسى : دراسة احصائية لجذور معجم الصحاح ، الكويت ١٩٧٣ :

(*) انظر في ذلك
C. Sloat. et - al : introduction phonology 1978, 71

(*) اللحز : البخيل .

(**) سبقني الى اقتباس نص ابن جني والتعليق عليه الدكتور الراجحي في (فقه اللغة) والدكتور رمضان عبدالتواب في (المدخل الى علم اللغة) .

(*) D. Jones : An out line of english phonetics, 217

(*) Alan H. Sommerstein : Modern phonology: (1977), 154

(*) : وهو ما يعرف بكـراهة توالي الامثال انظر بحث الدكتور رمضان عبدالتواب : كراهة توالي الامثال في مجلة المجمع العلمي العراقي ١٨ (١٩٦٩) ص ١٢٢ وكتابه : فصول في فقه اللغــة .

(*) : اللماع : كغراب نبت ناعم في اول ما يبدو :

مصادر البحث ومراجعه

١ ـ الابدال ـ ابو الطيب اللغوي دمشق مط . الترقي ١٩٦٠م) .
٢ ـ اسباب حدوث الحروف ـ ابن سينا القاهرة ١٣٥٢ هـ .
٣ ـ اسرار العربية ـ ابن الانباري دمشق مط . الترقي ١٩٥٧م .
٤ ـ اسس علم اللغة ـ ماريوباي طرابلس ليبيا ١٩٧٣ .
٥ ـ الاشباه والنظائر في النحو ـ جلال الدين السيوطي حيدر آباد الدكن الهند ١٣٥٩هـ .
٦ ـ الاصوات اللغوية ـ د . ابراهيم انيس مكتبة الانكلو المصرية القاهرة ١٩٧١ .
٧ ـ اصوات اللغة ـ د . عبدالرحمن ايوب القاهرة مطبعة الكيلاني ١٩٦٨ .
٨ ـ اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ـ د : نايف خرما الكويت ١٩٧٨ .
٩ ـ اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ـ ابن خالوية مط . دار الكتب ١٩٤١ .
١٠ـ الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ـ ابن السيد البطليوسي دار الجيل بيروت ١٩٧٣ .
١١ـ البيان والتبيين ـ الجاحظ ط .٤ دار الفكر بيروت (بلا تاريخ)
١٢ـ التطور اللغوي مظاهره وعلله ـ د . رمضان عبدالتواب الخانجي والرفاعي القاهرة ١٩٨١ .
١٣ـ التطور واللغة ـ د . عبدالرحمن ايوب القاهرة ١٩٦٤ .

١٤- التطور النحوي للغة العربية - برغشتراشر مط . السماح القاهرة ١٩٢٩ .

١٥- التفكير الصوتي عند العرب - بحث لهنري فليش مجلة مجمع اللغة العربية بمصر :

١٦- تهذيب اللغة - الازهري الدار القومية للطباعة ١٩٦٤-١٩٦٧ .

١٧- جمهرة اللغة - ابن دريد حيدر آباد الدكن الهند ١٣٤٥هـ .

١٨- الحيوان - الجاحظ ط ١ القاهرة مكتبة عيسى البابي الحلبي ١٩٤٧ .

١٩- الخصائص - ابن جني مط . دار الكتب المصرية ١٩٥٢ - ١٩٥٦.

٢٠- دراسات في علم اصوات العربية - د . داود عبده دار الصباح الكويت .

٢١- دراسة احصائية لجذور معجم الصحاح - د . علي احمد موسى الكويت ١٩٧٣ .

٢٢- دراسة الصوت اللغوي - الصوت اللغوي - د . احمد مختار عمر القاهرة ١٩٧٦ .

٢٣- شرح شافية ابن الحاجب - الرضي الاسترابادي دار الكتب

٢٤- دلالة الالفاظ - د . ابراهيم انيس مط : الانكلو المصرية القاهرة ١٩٦٣ .

٢٥- رسائل اخوان الصفا - بيروت ١٩٥٧م .

٢٦- رسالة اللثغة - الكندي - ايا صوفيا ٤٨٣٢ .

٢٧- الرعاية لتجويد القراءة - مكي بن ابي طالب دمشق دار المعارف ١٩٧٢ .

٢٨- الزينة في الكلمات الاسلامية - ابو حاتم الرازي القاهرة ١٩٥٧

٢٩- السبعة في القراءات - ابن مجاهد دار المعارف بمصر ١٩٧٢ .

٣٠- سر صناعة الاعراب - ابن جني القاهرة ١٩٦٤ .
٣١- سيكلوجية الطفل المتفوق وتربيته - د . عبدالمجيد عبدالرحيم ولطفي بركات القاهرة١٩٦٦ .
٣٢- شرح التصريف الملوكي - ابن يعيش المكتبة العربية بحلب١٩٧٢
٣٣- شرح شافية ابن الحاجب - الرضي الاستربادي دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٥ .
٣٤- شرح المفصل - ابن يعيش المطبعة المنيرية القاهرة ١٩٦٤ .
٣٥- الشعر والشعراء - ابن قتيبة دار الثقافة بيروت .
٣٦- الشفاء - ابن سينا الهيئة المصرية العامة القاهرة ١٩٧٥ .
٣٧- العربية الفصحى - هنري فليش المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٦ .
٣٨- علم اللسان - انطوان مييه (منهج البحث في الادب واللغة) دار العلم للملايين ١٩٤٦ .
٣٩- علم اللغة - د . محمود السعران دار المعارف بمصر ١٩٦٣ .
٤٠- علم اللغة العام / الاصوات - د . كمال بشر دار المعارف بمصر ١٩٨٠ .
٤١- عيون الانباء في طبقات الاطباء - ابن أبي اصيبعة بيروت ١٩٦٥
٤٢- العين - الخليل بن احمد الفراهيدي - مطبوعات وزارة الثقافة العراقية ١٩٨٠ .
٤٣- فقه اللغات السامية - كارل بروكلمان - جامعة الرياض ١٩٧٧ .
٤٤- فقه اللغة في الكتب العربية - د . عبده الراجحي دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٢ .

٤٥- الفكر الصوتي عند ابن دريد - د . خليل ابراهيم العطية مجلة كلية الاداب - البصرة ١٩٨٠ .

٤٦- في اللهجات العربية - د . ابراهيم انيس مكتبة الانكلو المصرية ١٩٧٣ .

٤٧- القاموس المحيط - الفيروز ابادي مطبعة السعادة بمصر .

٤٨- القانون في الطب - ابن سينا ميلانو ١٤٧٣م .

٤٩- الكامل في اللغة والادب - المبرد - دار نهضة مصر - القاهرة ١٩٥٦ .

٥٠- الكتاب - سيبويه - طبعة مصورة عالم الكتب بيروت (بلا تاريخ) .

٥١- كراهة توالي الامثال في ابنية العربية - بحث د : رمضان عبدالتواب مجلة المجمع العلمي العراقي ببغداد .

٥٢- الكشف عن وجوه القراءات السبع - مكي بن ابي طالب دمشق مط . خالد بن الوليد ١٩٧٤ .

٥٣- لسان العرب - ابن منظور دار صادر وبيروت ١٩٥٥ وما بعدها

٥٤- لطائف الاشارات لفنون القراءات - شهاب الدين القسطلاني القاهرة ١٧٩٢ .

٥٥- اللغة - فندريس مطبعة الانكلو المصرية ١٩٥٠ .

٥٦- اللغة العربية معناها ومبناها - د . تمام حسان الهيئة المصرية ١٩٧٣ .

٥٧- اللغة بين المعيار والوصفية - د . تمام حسان مكتبة الانكلو المصرية ١٩٥٨ .

٥٨ـ اللهجات العربية في التراث ـ د . احمد علم الدين الجندي رسالة دكتوراه على الالة الكاتبة .

٥٩ـ المخصص ـ ابن سيده القاهرة بولاق ١٣١٦هـ ـ ١٣٢١هـ .

٦٠ـ المدخل الى علم اللغة ـ د . رمضان عبدالتواب نشر الخانجي القاهرة .

٦١ـ المزهر في علوم اللغة وانواعها ـ جلال الدين السيوطي دار احياء الكتب العربية القاهرة ١٩٦٦ .

٦٢ـ مصطلحات في علمي الاصوات واللغة ـ مجلة مجمع اللغة العربية بمصر ١٩٦٣ .

٦٣ـ معاني القرآن ـ الفراء ـ القاهرة ١٩٥٥ وما بعدها .

٦٤ـ المعرب من الكلام الاعجمي ـ الجواليقي دار الكتب المصرية ١٣٦٠هـ .

٦٥ـ مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ـ ابن هشام الانصاري دار الفكر دمشق ١٩٦٤ .

٦٦ـ مفتاح العلوم ـ السكاكي المطبعة الميمنية القاهرة (بلا تاريخ).

٦٧ـ المقتضب ـ المبرد ـ المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية القاهرة ٩٦٣ ـ ٩٦٨ .

٦٨ـ المقرب ـ ابن عصفور ـ بغداد وزارة الاوقاف .

٦٩ـ مناهج البحث في اللغة ـ د : تمام حسان القاهرة ١٩٥٥م .

٧٠ـ النشر في القراءات العشر ـ ابن الجزري ـ المكتبة التجارية بمصر (بلا تاريخ) .

٧١ـ همع الهوامع وجمع الجوامع ـ جلال الدين السيوطي ـ مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٧هـ .

C. Sloat, et al : Introduction to phonology Hal U.S.A. (1978) -٧٢

D. Jones : An out line of english phonoetics Cambridge - 1972

Larr. M. Hyrnan :

Phonology theory and anlysis U.S.A. 1975

R. H. Robins, General Linguestics London, 1978

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ـ بغداد
(٥٦٧) لسنة ١٩٨٣

دار الحرية للطباعة ـ بغداد
١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م

Little Encyclopedia

A Fortnightly Cultural Series dealing with various branches of Science, Art, and Literature

Issued by Dar — Al-Jahidh
Al-Khulafä Street — Baghdad

Editor-in-Chief
Musa Kraidi

توزيع الدار الوطنية للتوزيع والاعلان

الموسوعة الصغيرة

سلسلة ثقافية نصف شهرية تتناول
مختلف العلوم والفنون والآداب
تصدرها دار الجاحظ للنشر
بغداد – شارع الخلفاء
رئيس التحرير : موسى كريدي

الكتاب العاشر

التراث والثورة

تأليف

حميد سعيد

السعر ١٠٠ فلس   دار الحرية للطباعة – بغداد